بواكير النهضة في الفكر الليبرالي* العربي

(الطهطاوي انموذجاً)

المدرس المساعد أحمد داخل ناصر

مديرية تربية ذي قار

المستخلص

يُعَّد الطهطاوي أحد المفكرين النهضويين في مطلع القرن التاسع عشر الذي ساهم في بذر بذور الفكر الليبرالي العربي. إذ مثلت طروحاته مرجعيات فكرية لمن جاء بعده من الإصلاحين في العالم العربي، فقد حاول من خلال مشاهداته التي سجلها في رحلته الباريسية عبر كتابه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) عن طبيعة المجتمعات الغربية المتحضرة، وخصوصاً المجتمع الفرنسي، كالنظم السياسية المتطورة والدولة المدنية، وحقوق الانسان والمواطن، وغيرها. فاهتمام الطهطاوي في ترجمة وقراءة الاثار السياسية لعصر التنوير الاوربي لا يعني التماهي معها. فلكل أمة أو شعب من الشعوب تراثه وحضارته، وعليه، فالطهطاوي حاول أن يقتبس ما يمكن الاستفادة منه وما يراه صالحاً فيما يخص أنظمة الحكم الصالحة التي تراعي حقوق الرعية، وتلبي متطلبات العصر وتنسجم مع الثقافة العربية الإسلامية. إذ يرى من الضروري الاقتداء بما أنتجه عصر التنوير الاوروبي الذي قاد تلك المجتمعات نحو التقدم والتطور.. وعلى الرغم من ذلك لم تأخذ تلك الرؤى طريقها على مستوى تبلور فكر ليبرالي مماثل كما عند الغرب.

كلمات مفتاحية: رفاعة الطهطاوي، الفكر الليبرالي العربي .

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/١٢/٨ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٣/٠٨/٢٢

The Dawn of Renaissance in Arab Liberal Thought* (Al-Tahṭāwī as a Model)

Asst. Lect. Ahmed Dakhil Nasser
Directorate of Education/ Thi Qar

Abstract

Al-Tahtawi is considered one of the renaissance thinkers in the early nineteenth century who contributed to sowing the seeds of Arab liberal thought. As his theses represented intellectual references for the reformers who came after him in the Arab world, he tried, through his observations, which he recorded on his Parisian journey through his book (Talkis Al-Ibrez in Talkis Baris) about the nature of civilized Western societies, especially the French society, such as advanced political systems and the civil state, and rights man and citizen, and so on. Al-Tahtawi's interest in translating and reading the political implications of the European Enlightenment does not mean identification with it. Each nation or people has its own heritage and civilization, and accordingly, Al-Tahtawi tried to quote what can be benefited from and what he deems valid with regard to good governance systems that respect the rights of the subjects, meet the requirements of the times and are in harmony with the Arab-Islamic culture.

Keywords: Rifa'a Al-Tahtawi, Arab liberal thought.

Received: 08/12/2022 **Accepted:22/08/2023**

المقدمة

شهدت المرحلة التاريخية التي ولد فيها الطهطاوي تطاحناً ضارياً بين العثمانيين والمماليك تارة، وبين العثمانيين والفرنسيين تارة أخرى للظفر بثروات مصر.. انتهى الأمر بتولي محمد علي إمارة مصر١٨٠٤، ولقد انصبت طموحات هذا الوالي على بناء مصر على غرار الممالك والإمبراطوريات المحيطة به.. وفي الوقت الذي سطع فيه نجم نخبة من الشخصيات الأزهرية، ومنهم الشيخ حسن العطار، الذي كان يحمل رؤى وتطلعات تنويرية، ومن بعده تلميذه الطهطاوي الذي كان له دور في تطوير وتحديث المجتمع المصري. والأخير اتصف برؤى مدنية ليبرالية في مجالات عدة اكتسبها من رحلته إلى باريس التي انعكست على مجمل كتاباته، ولعل من أبرزها كتابه (تلخيص الابريز في تلخيص باريز)، الذي أسس لجذور الفكر الليبرالي العربي.

معلوم أن الذي سجله الطهطاوي في خلال مدة تلك الرحلة يُعَد غاية في الأهمية ويستحق التدوين. لكنه لم يحِط بما يكفي بحيثيات التمدين كُلها، التي تجاوز وهجها حدود أوروبا، لكنه حاول بشكل أو بآخر استيعاب تحولات الفكر السياسي الغربي الحديث في حينها.. فعاين طبائع الحكم والنظم السياسية الحديثة، ودور المواطن الغربي في صياغتها، فعمل على إظهار مفردات كانت غائبة عن الوعي الانساني أيام الامبراطوريات والحكومات الاستبدادية، من قبيل اللوائح الصادرة عن حقوق الإنسان والمواطن، وطبيعة المشاركة الشعبية في الحكم، وآليات الممارسة الديموقراطية، وحقوق المرأة وغيرها، والتي أسهمت في تعزيز دور الشعوب في صناعة أفضل النظم السياسية الحاكمة. كذلك عاين حجم التطورات والابتكارات العلمية في مجالات عدة كالصناعة والطب والهندسة والعلوم العسكرية التي كان الطهطاوي مولعاً بها. فكان أن عمل بما تيسر له من امكانات معرفية على مسابقة الزمن. فواصل الليل بالنهار لترجمة كبريات الكتب التي اخترعها العقل البشري، وهي زروع من زروعات عصر التنوير التي قطفت ثمارها أوروبا مطلع القرن السابع عشر. وعليه ستتوزع الدراسة بين مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. يتناول المبحث الأول: الطهطاوي حياته وعصره ودراسته في الأزهر، أما المبحث الثاني فيتضمن آراء الطهطاوي السياسية في الدولة والحاكم والمجتمع المدني، وفي المبحث الثالث: فيعرض لرؤية الطهطاوي التحديثية عن المجتمع المصري.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من كونها تتعرض لدراسة آثار الشيخ الطهطاوي واضع اللبنات الأولى لليبرالية في الفكر العربي، وفي تجربة مصر السياسية على وجه الخصوص، كونه قد ناقش وعالج أهم قضايا المجتمع المصري في تلك الحقبة. فهيمن على تفكيره البحث في مسائل المواطنة، وحب الوطن، والتمدين، وأسس الحكم الرشيد، والفصل بين السُلطات، ودعوته إلى تثقيف المجتمع سياسياً في صورة للوصول إلى المجتمع المتحضر الذي يُعَد الأساس في إنتاج أفضل النظم وأحسنها، وهذا بحكم قراءته للمجتمع الفرنسي الذي التمس فيه

روح التقدم ومواكبته للحكام ومعرفته بأصول الحكم الصالح، وانتاج مؤسسات سياسية صالحة، وأحقية الشعب في أن يكون له دور في تمثيلها، كما انتقد الحُكام المستبدين، ومسائل أخرى تخص التعليم الشامل وتنوعه، وتحديث المجتمع بالعلوم العصرية، فضلاً عن تعليم المرأة واعطاءها الحقوق اسوة بالرجال مع مراعاة ما تراه الشريعة الإسلامية.

اشكالية الدراسة:

لعل الكثير من الباحثين والمثقفين من دعاة الاصلاح، ومختلف التيارات في العالم العربي ممن عمل ضمن الامبراطورية العثمانية أو خارجها في بدايات القرن التاسع عشر أدركوا أن دعوات الاصلاح والتحديث لن تتم الا بالانفتاح على افكار المجتمع الاوربي للسير بخطى الليبرالية. وهذا ما خلق اشكالية كون (الليبرالية) مقولة غربية، وقد لا تنسجم مع من تربى على التراث التقليدي الإسلامي. وعليه فأن الاشكالية تطرح اسئلة مفادها..

- هل أن الطهطاوي أول من وضع اسس الفكر الليبرالي العربي؟ وأنه رائد من رواد النهضة؟ وأن رؤاه اسست فيما بعد إلى فكر ليبرالي فلسفي راسخ في العالم العربي؟

- وهل أن اعتقاد البعض من النقاد العرب بأن الطهطاوي في دعوته إلى التحديث كان قد وقع في حبائل التغريب، وأنه تخلى عن هويته الإسلامية، حين راح يتعرض إلى مسائل تخص أنظمة الحكم الحديثة والتعليم وحقوق المرأة في مجتمع كان أقل ما يوصف به بأنه مجتمع ذكوري محافظ.. لذلك حاول نقده في ضوء ما شاهده وسجله من انطباعات في رحلته عن مظاهر التقدم والتحضر للمجتمع الفرنسي؟

فرضية الدراسة:

للإجابة على الاسئلة التي اثارتها اشكالية الدراسة. فأن الدراسة تنطلق من فرضية مفادها عرض الأفكار والرؤى الليبرالية للطهطاي (بواكير النهضة في الفكر الليبرالي العربي) حين يتعرض إلى تبني انظمة حكم متطورة (مقيدة) بقانون ودستور وتحديث واصلاح مؤسسات الدولة من دون الوقوع في هوة التغريب من خلال المحافظة على تراثه التقليدي مع مزاوجته بالحداثة التي تُعَد معظم مقولاتها ذات طابع غربي. لتعالج قضايا مهمة للمجتمع كنظام الحكم ودولة المواطنة والتعليم وحقوق المرأة. كل هذه الرؤى والمفاهيم الليبرالية حاول الطهطاوي ارساء أسسها. مع إن هذه المتبنيات لم تسفر عن فكر فلسفي راسخ فيما بعد، وهذا ناجم عن تمسك أنظمة الحكم الشرقية بأشكال نظمها الاستبدادية ذات الطبيعة الاوتوقراطية القروسطية

المبحث الاول

الطهطاوي حياته وعصره ودراسته في الأزهر

شهدت حياة الطهطاوي تحولاً على المستويين الاقتصادي والمعرفي. فهو عاش العسر منذ نعومة اظفاره إذ صادف عند ولادته الغاء محمد علي الحقوق المالية (الالتزامات)[١]، التي كانت تمنح للعوائل الارستقراطية في

ذلك الزمن. فتغير حال عائلته من اليسر إلى العسر.. أما على المستوى المعرفي فهو لم يكتف بتلقي الدروس التقليدية التي كانت تعطى لطلبة الأزهر في حينها، وهذا الفضل كان يعود لأستاذه الشيخ حسن العطار الذي نهل عنه موارد العلوم والمعارف العصرية، إلى جانب دروسه التقليدية، ومنحه فرصة السفر إلى باريس حين رشحه إماماً للبعثة العلمية الاولى.. ولعلنا سنتابع مثل هذه التحولات من خلال مطلبين، الأول: حياة الطهطاوي وعصره، والثاني: التعلم والتعليم في الأزهر.

المطلب الاول: الطهطاوي حياته وعصره

"رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م)، هو السيد رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، يتصل عبر عدد من أشراف الصعيد وعلمائه وقضاة الشرع فيه، وماراً بالأئمة: جعفر الصادق ومحمد الباقر بن زين العابدين إلى الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب (ع)، وكان مولده في مدينة (طهطا) التابعة لمديرية جرجا في محافظة سوهاج من صعيد مصر. أما أمه السيدة فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي، فأن نسبها يرتفع عبر عدد من العُلماء والصالحين إلى الانصار، والى قبيلة الخزرج بالتحديد"[٢]. وصادف أن كان مولد الطهطاوي في العام نفسه الذي جلت فيه القوات الفرنسية عن مصر، وهو ١٥- تشرين الاول/اكتوبر ١٨٠١م [٣].

"كانت عائلة والد الطهطاوي من (الاشراف) ذوي مال ويسار وكانوا يتمتعون بامتيازات مالية تمنح لهم من الارض عرفت بـ(الالتزامات) ، ولكن الطهطاوي الذي ولد قبل تولي محمد علي بأربع سنوات قد شهدت طفولته المبكرة إلغاء محمد علي لنظام (الالتزامات) وسحبه للامتيازات الاقتصادية التي كان يتمتع بها الأشراف والشيوخ"[٤]. فلحق بالعائلة عسر وضائقة اقتصادية مالية. "فسار به والده إلى (منشأة النيدة) بالقرب من مدينة جرجا، وأقاما في بيت قوم كرام من أقاربه يقال لهم بيت أبي قطنة من ذوي اليسار والمجد، ثم انتقلا إلى قنا، ثم إلى فرشوط، وفي خلال ذلك كان الطهطاوي يحفظ القرآن الكريم"[٥]. ولما توفي والده عاد رفاعة إلى مسقط راسه (طهطا). حيث تولى تربيته اخواله من بيت الانصاري المعروفين آنذاك بالعلم والتقوى، ومنهم الشيخ ابي الحسن الانصاري والد الشيخ عبد العزيز أبي الحسن الذي نظم متن المنهج والقطر، وله ديوان التخميسات الفائقة لغالب ديوان البرعي، والشيخ فرَاج الانصاري الذي تلقى العلم في الأزهر وكتب تقريرات على شرح الرملي في فقه الشافعية، والشيخ محمد الانصاري، وكان امين الفتوى في مشيخة الأزهر في عهد الشيخ حسن العطار، وعلى يديهم حفظ كثيراً من المتون المتداولة تمهيداً لدراستها، واخذ يتلقى مبادئ العلوم فقرأ عليهم بعض الكتب في الفقه والنحو، وأهّله ذلك القدوم إلى القاهرة للدراسة في الأزهر[٦].

"وكان رفاعة يوصف بقصير القامة، واسع الجبين، متناسب الاعضاء، اسمر اللون، حازماً، مقداماً، حاد الذكاء، وهذا ما نهض به من حضيض العسر إلى مراتب المجد والفخر، حتى أصبح ممن يُشار إليهم بالبنان، ويقتدي بأعمالهم بنو الانسان، وكان في اوائل حياته، إلى ان عاد من الديار الافرنجية يلبس اللباس العربي من الجُبة والعمامة والقفطان، ثم بدّله باللباس الافرنجي المشهور"[٧].

عاصر الطهطاوي محمد علي باشا(١٨٠٥-١٨٤٨م)، مؤسس مصر الحديثة، وابنه ابراهيم باشا الذي توفي على عهد أبيه، وعباس الاول وسعيد باشا والخديو اسماعيل وبدايات حكم الخديو توفيق. وقد ظل يعمل ويكتب إلى آخر ايام حياته، وإليه يعود الفضل الكبير في قلب الحياة الفكرية والثقافية المصرية [٨].

أما اعمال الطهطاوي التي نُشرت، بين مؤلفة ومترجمة، فقد بلغت ستة عشر مجلداً وهي: "القول السديد في الاجتهاد والتجديد" و"البدع المتقررة في الشيع المتبررة"، و"متن الاجرومية"، و"التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية"، و"منظوم في مصطلح الحديث"، و"نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز"، والتعريبات الثقافية لمريد الجغرافية لملطبرون"، و"الكواكب المنيرة في ليالي افراح العزيز المقمرة"، و"قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر"، و"كتاب مبادئ الهندسة"، و"القانون الفرنساوي المدني"، و"نظم العقود في كسر العود"، و"مواقع الافلاك في وقائع تليماك". اما مخطوطات رفاعة الطهطاوي فهي أربعة عشر مخطوطا"[٩].

ولعل أبرز الاثار الفكرية التي تركها الطهطاوي، ومثلت تحولاً في الفكر الليبرالي في مصر على وجه الخصوص والفكر الليبرالي العربي الحديث عامة هي: "تخليص الابريز في تلخيص باريز.. (الديوان النفيس بإيوان باريس)، كتبه في باريس مصوراً رحلته إليها، وتقدم به إلى لجنة الامتحان عام ١٨٣٠، واضاف له فصولا عقب عودته لمصر، وطبع في حياته طبعتين. ولعل اهم ما في هذا الكتاب من الناحية السياسية "ترجمة للميثاق الدستوري الفرنسي لسنة ١٨١٤ وتعليقاً عليه ووصفاً لأحداث ثورة ١٨٣٠، وتعليقاً عليها وتعريفاً بأهم التيارات السياسية السائدة هناك، و"مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية" خصصه لمعالجة (التمدن) وضمنه فكره الاجتماعي. كما يعتبر هذا الكتاب من اوائل الكتب العربية في التثقيف السياسي، وقد طبع عام ١٨٦٩"[١٠]. أما مؤلفه: "المرشد الامين في تربية البنات والبنين "فقد كان يتضمن فكره في التربية والوطنية والتمدن.. وقد طبع في عام وفاته ١٨٧٣"[١١].

المطلب الثاني: التعلم والتعليم في الأزهر

حين بلغ الطهطاوي سن السادسة عشرة أي في عام ١٨١٧ شد الرحال للقاهرة ليلتحق بالأزهر الذي كان يومئذ المؤسسة الجامعة للعلوم الفقهية ونحوها، وتلقى مختلف الدروس في التفسير واصول الفقه، والحديث، وشرح بن عقيل على ايدي اساتذة بارزين في الأزهر، لكن الشيخ (حسن العطار)[١٢]. كان من بين اساتذته الذين تركوا فيه الاثر البالغ علمياً وحياتياً، لأنه كان مائزاً في اسلوبه وعلمه وسعته في الاطلاع على العلوم الانسانية الأخرى، وكثيراً ما كان الطهطاوي يتردد على بيت العطار ليتلقى منه العلوم العصرية كالتاريخ والجغرافيا والادب، ويطلعه رفاعة بعض شعره ونثره، وكثيراً ما كان العطار معجباً بعلميته ونباهته وذكائه [١٣].

ولما اتم الحادية والعشرين من عمره اصبح مؤهلاً للتدريس، فدرَّس في الأزهر، وكان يتردد أحياناً، على مدينته

(طهطا) فيلقي على اهلها بعض دروسه، وكان رفاعة منذ عهده الاول مُدرساً ممتازا فاقبل عليه الطلاب وافادوا منه، وكانت حلقاتُ دروسه في السنتين التاليتين حافلةً بالمستمعين من التلامذة والمشايخ دائماً[١٤].

يقول أحد تلامذة الطهطاوي ومؤرخ حياته صالح مجدي: "كان الطهطاوي حسن الالقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه، وقد اشتغل في الجامع الأزهر بتدريس كتب شتى في الحديث، والمنطق، والبيان، والبديع، والعروض، وغير ذلك وكان درسه غاصّاً بالجم الغفير من الطلبة، وما منهم الا من استفاد منه وبرع في جميع ما اخذه عنه"[١٥].

ويقال إن من حُسن حظ الطهطاوي أنه حظي بالشيخ العطار وتتلمذ على يده، فقد كان شيخاً سابقاً عصره، ملماً بالعلوم العصرية. اعُجب بما وصلت إليه الحضارات الغربية، وذلك حين قدوم الحملة الفرنسية ١٧٩٨. كان يتردد على (دار المجمع)[١٦]، الذي اسسه الفرنسيون حين قدومهم، والذي كان يضم جمعاً من العُلماء في مختلف الاختصاصات الانسانية، ولاحظ العطار الفارق بين علوم الفرنسيين، وبين علوم المصريين التي درسها ويدرِّسها في الأزهر، وتسأل في نفسه أن لا بد لهذه البلد أن تنهض نهضة علمية لتصل إلى ما وصلت إليه أوروبا في ذلك الوقت.. وقال: "لابد أن تتغير حال بلادنا ويتجدّد لها من المعارف ما ليس فيها"[١٧].

ولعل تلك الافكار والطموحات التي كانت تراود الشيخ العطار تحققت. فحين أدرك محمد علي باشا حاجة الدولة إلى التحديث، والتمدين، والإصلاح بما يتلاءم والثورات العلمية والسياسية في أوروبا مطلع القرن التاسع عشر، كانت خطواته الأولى نحو الإصلاح والنهوض، دعوته إلى فتح المجال أمام البعثات العلمية والدراسية بالذهاب إلى أوروبا.

من هنا طلبَ محمد علي من الشيخ العطار بأن ينتخبَ من عُلماء الأزهر اماماً (للبعثة)[١٨] يرى فيه الاهلية واللياقة ليكون اماماً ومرشداً للطلبة الموفدين إلى باريس. فأختار العطار الشيخ الطهطاوي إماماً وواعظاً لهذه الوظيفة . ولما كان العطار ميالاً بطبعه إلى العلوم العصرية، ولا يرى الانحصار في دائرة كتب الشرع فحسب، فقد أودع هذا الميل في نفس تلميذه الطهطاوي، فأوصاه بأن يدرك اهمية هذه البعثة فيجد في التفكير والاسهام في نقل العلوم عن الغربيين حتى يُفيد منها أهل وطنه[١٩].

وعلى هذا يقول الطهطاوي: طُلِب مني أن أعي أهمية هذه الرحلة، بأن أسجّل كل مشاهداتي، وما يقع عليه بصري، واقيده مما اراه نافعاً لنا عن اسرار هذه البلاد الغربية، ليكون دليلاً يهتدي به طلاب العلم والمعرفة في بلاد الشرق، واحسب أن ما اقوم به هو المحاولة الأولى التي لم يسبقني اليها غيري في تعريف باريس ودراسة احوالها واحوال اهلها[20].

من هنا يقال إن الطهطاوي "سبق غيره في هذه الرحلة [الاستغرابية] قبل أكثر من مئة وخمسين عام، عندما عَمد في كتابه (تخليص الابريز..) إلى قلب مسميات عالم فرنسا ومصادرتها رمزياً، وإحلاله أسماءً عربية محلها، فأظهر محاولة مُحملة بمركزية شرقية مُضادة للمركزية الغربية السائدة آنئذ، ولاسيما كانت فواعل الهيمنة المادية للغرب تُبطل من الناحية الواقعية حُجة محاولات من هذا النوع غرضها تعريب الآخر عوضاً عن "فرنسة" ألانا. كانت الفرنسية لدى الطهطاوي هي الموضوع الظاهري، والعربية هي الموضوع الجوهري، وإن ترجمة الفرنسية إلى العربية لديه، إخراجٌ لها من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام"[21]. وهذا ما بينَه الطهطاوي

بذكره جملة من الأقوال المأثورة (الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أهل الشُرك).. (اطلب العلم ولو بالصين).. فحيثما أمن الانسان على دينه، فلا ضرر في السفر خصوصاً لمصلحة مثل هذه المصلحة[٢٢].. ويقصد المهمة الرسمية التي أُوكل بها من قبل بلاده. "فكان عليه، وعلى طلاب البعثة العلمية الجِد في دراستِهم ليُحصِلوا على العلوم التي يطلبونها على أمن وجه، وفي أسرع وقت، ولكن هذه العلوم التي أوفِدوا لدِراستها مودعة في بطون المؤلفات الفرنسية، ولا سبيل إليها الا اتقان اللغة الفرنسية قراءةً وفهماً، وهذا الامر يحتاج إلى الاختلاط بأندادهم من الفرنسيين.. حتى تستقيم ألسنتهم"[٢٣]. وحسناً فعل الطهطاوي إذ أوجز ذلك بامتلاك أداة (اللغة) في مدة قصيرة تمكنه من فك شفرات هذه العلوم والمعارف المختلفة العناوين والاختصاصات، والتي تحتضنها هذه المكتبات الفاخرة.

المبحث الثاني

آراء الطهطاوي السياسية في الدولة والحاكم والمجتمع المدني

مثل عصر التنوير الاوربي منذ انطلاقته في بدايات القرن السابع عشر وما تلاه تحولاً ليس على مستوى انظمة الحكم فحسب بل في المجال العلمي والبحثي، وراحت تلك الاختراعات العلمية والابداعات الفكرية تنزاح خارج حدود أوروبا مع ما رافقها من تحوّل في انظمة الاقتصاد التقليدية بعد انهيار النظم الاقطاعية القديمة، وظهور الرأسمالية ما دفع هذا إلى التصارع للبحث عن أماكن جالبة للثروة. فكانت وجهة هذه الدول نحو (الشرق) فبريطانيا اتجهت نحو الهند، وفرنسا باتجاه مصر مع تقلص في النفوذ العثماني، هذا التحول اشعر المصريين ايام محمد علي بضرورة النهل من الآخر بما عنده من اختراعات خصوصاً، وان سيل الحضارة قد بلغ اعتابهم ابان الحملة الفرنسية على مصر، وعلى هذا سيتناول المبحث الثاني: آراء الطهطاوي السياسية في الدولة والحاكم والمجتمع المدني، والذي قسم على مطلبين. فالأول: دولة المواطنة العصرية. أما المطلب الثاني: رؤية الطهطاوي للحاكم الأعلى في الدولة.

المطلب الاول: دولة المواطنة العصرية

يرى العديد من الباحثين والدارسين أن الحملة الفرنسية العسكرية على مصر ١٧٩٨ هي: اللحظة التاريخية المهمة التي عرَفت الغرب بالشرق عامة، والمنطقة العربية بخاصة، معلنة مرحلة جديدة من تاريخ صراع الانا والآخر، اذ تشكلت خلالها وبعدها رؤيةٌ سياسية واجتماعية وثقافية في مصر تحديداً، وتعزز لدى العامة شعورٌ قومي بالتطلع نحو بناء دولة على غرار ما كان معمول به في أوروبا مع الفارق الحضاري والمدني والعمراني، واستجد وعي يرى ضرورة تحطيم الحاجز التركي والاقطاعي المملوكي، وهذا ما دعا إلى مواجهة واتصال حضاري بين الشرق- الغرب[24]. بمعنى أن هذا الحدث التاريخي ولد لدى المصريين عامة والطهطاوي بخاصة أيام محمد علي باشا صدمة حضارية برغبة اللحاق بهذا الركب الحضاري واستيعاب ما أمكن

استيعابه من هذا السيل الحضاري الذي اجتاح الشرق/الغرب على السواء. مع ما أُتيحت إليهم السبل والرغبة لدى الحُكام للنهل من هذه النتاجات الحضارية الغربية. "فرحلة باريس بالنسبة للطهطاوي اغناء، من ناحية دراسته لأعمال فلاسفة الثورة الفرنسية كـ فولتير ومونتسكيو وروسو وسواهم، كما اطلع على بعض نتاجات حركة التنوير الاوروبية من قبيل خطابات اللورد تشسترفيلدو وفيليب ستانهوب، وعلى هذا يمكن أن يقال إن الطهطاوي كان يعيش في عصره مع أكثر العقول تقدمية وأشدّها ثورية.. فهو اذ درسها بعمق.. المتضارب منها والمنسجم، كالعقلانية والوجدانية والمادية والمثالية على السواء. فتولدت لديه تساؤلات بضرورة مناقشتها، والتوقف عند هذه المملكة المستبدة القائمة على الحق الالهي والنظام الاقطاعي الارستقراطي بامتيازاته وطغيانه المادي والروحي، وضرورة تقويض هذه المملكة، واعادة بناء المجتمع الانساني على اسس جديدة كالحرية والمساواة والاخاء"[25].

وهذا واضح فاغلب فصول كتاب الطهطاوي [تخليص الابريز] لم تنفك لتؤكد على مسائل مهمة يجدها من ضرورات الدولة المدنية كشعور الفرد بالانتماء حيال وطنه، وطبيعة العلاقة بين الحُكام والمحكومين."الفرنساوية مستوون في الأحكام على اختلافهم في العِظم والمنصب والشرف والغنى، فأن هذه المزايا لا نفع لها إلا في الاجتماع الانساني والتحضر فقط، لا في الشريعة، فلذلك كان جميعهم يقبل المناصب العسكرية والبلدية، كما أنه يعين الدولة من حاله على قدر حاله. وقد ضمنت الشريعة لكل إنسان التمتع بحريته الشخصية، حتى لا يمكن القبض على إنسان في الصورة المذكورة في كتب الأحكام، ومن قبض على انسان في صورة غير منصوصة في الأحكام يعاقب عقوبة شديدة"[26].

وبحسب ألبرت حوراني فأن الطهطاوي هو أول من حلل فكرة الامة المصرية وحاول شرحها وتبريرها استناداً إلى اعتبارات إسلامية، وهذا الوعي المبكر مأخوذٌ من تأثره بالتيار الجديد، الذي ظهر عند العثمانيين الشباب، ذوي النزعة الليبرالية، والداعيين إلى روح الانتماء نحو وطنهم من جانب، وقد تشكلت لديه رؤية جديدة عن الواقع نابعة مما استقاه من رحلته الباريسية من جانب آخر [27]، ومن الارضية الصالحة التي من خلالها يمكن أن يبذر بها بذور هذا الوعي الجديد الموسوم برؤى ليبرالية. فكان على الطهطاوي ان لا يصطدم بالتراث أولاً، وبالسُلطة التقليدية ثانياً، وبالمجتمع الفاقد للأهلية بحكم تدني مستوى التعليم، وبـ [الحاكم] الخليفة الذي تضفي عليه صفة القداسة، فالعلاقة السائدة لدى العوام وقتذاك تجاه الحاكم (السلطان) لها شكلٌ عمودي ثالثاً. "فالحكم الاستبدادي الشرقي الذي عايشه الطهطاوي يتميز باللاعقلانية لأنه كان خاضعاً لأهواء السلطان ومصالح حاشيته والمناورات الخفية للمتنفذين في السراي، وكان الفرد يخضع لهذا الحكم خضوعه لقضاء مبرم، وقدر محتوم لا منطق له، وقد تفطن رفاعة إلى هذا الخلل الكبير الذي يميز الوضع الإسلامي بالمقارنة مع "النظام" العقلاني الذي كانت تخضع له السُلطة في أوروبا، وفرنسا بالتحديد. فبخلاف ما كان

السلطانُ الشرقي يستمد شرعيته من قوة غيبية، كان الحاكم الغربي يستمد شرعيته من الشعب عبر "نظام" واضح يخضع لقانون موحد ومعلوم حسبما ضبطه اعلان حقوق الانسان والمواطن الذي أقرته الثورة الفرنسية"[28].

فثمة افكار جديدة تضمنتها كتابات الطهطاوي كالقول: "إن الشعب يمكنه أن يشترك في عملية الحكم، وإن الشرائع يجب أن تتغير بتغير الظروف، وما كان منها صالحاً في زمان او مكان قد لا يصلح لزمان او مكان آخر، فضلاً عن فكرة [الامة] التي لعله استقاها من مونتسكيو الذي أكد على أهمية الظروف الجغرافية في تكوين الشرائع، مما يستلزم القول بحقيقة الجماعة المحدودة جغرافياً، أي المجتمع الناشئ عن العيش في مكان واحد، والذي ذهب أيضاً إلى أن قيام الدول وانهيارها يخضعان لأسباب معينة، وإن هذه الاسباب تكمن في (روح الأُمة)[29].

من هنا دعا الطهطاوي إلى ضرورة تثقيف الشعب بانه مصدر السُلطة، وهو المعني باختيار من ينوب عنه في الحكم بوساطة ممثلين حسب ما ذهب إليه مونتسكيو وآراء بعض كبار المفكرين الغربيين بخصوص نظرية الدولة المدنية. "فحين تعَرض الطهطاوي لتفصيل الحقوق المدنية، أقر بوجوب خضوع السُلطات الرئيسة الثلاث للقوانين، وقال إن من مهماتها الإشراف على رعاية حقوق الشعب، لذلك طرح فكرةً جديدة في عصره عندما وجَّه الانتباه إلى ضرورة تنفيذ القوانين بما يتماشى مع متطلبات الحياة. كان يتوخى من مقاربة ما هو غربي مع التراث العربي تكييف ما يقتبسه من الغرب بالشريعة بما يحقق لها الملائمة مع الظروف المتغيرة والحالة الحياتية الفعلية، عبر التعامل القياسي مع مُعطيات مستجدة. فهو من قال إن مبادئ الثورة الفرنسية تتوافق مع القرآن والسنة"[30]. فمن قبيل لم ير الطهطاوي تناقضاً بين فكرة الوطنية والإسلام، إذ أكد على أن حب الوطن من الايمان، وهو أيضاً [حب الوطن] من الفضائل السياسية، وعليه يؤكد قوله: (ان محبة الوطن تؤدي إلى دماثة الاخلاق) والعكس بالعكس[31]. ويبَين الطهطاوي "أن الدولة في أوروبا أمكنها بلوغ هذه الغاية من النظام الجالب للعزة والقوة بفضل الخروج من ربقة نظام الاقطاع الذي كان أصحابه مستبدين بما تحت أيديهم، فلما قضى الأوروبيون على نظام الاقطاع.. تواجدت عند الجميع الحرية وصارت ممالك أوروبا بالتحدث عن حقيقة الحرية"[32].

ويقارب الطهطاوي في تحديد مفهوم الحرية بين ما معمول به في بلاد الغرب وبين ما يمكن تطبيقه في بلاد الشرق وفق أحكام تقليدية موروثة فيقول: "ما يسمونه الفرنساوية الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يُطلق عليه عندنا العدل والانصاف.. وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو إقامة التساوي في الأحكام والقوانين بحيث لا يجوز الحاكم الحُكم على إنسان، بل القوانين هي المحكمة والمعتبرة، فهذه البلاد حرية.."[33].

بمعنى أن الفكرة الأساسية في (تخليص الابريز) على حد تعبير عزت قرني "هي مفهوم الحرية فالكلمة لم تكن تعني أكثر من الضد القانوني لوضع العبودية أي: "الرق كما عند الماوردي مثلاً، وما على رفاعة إلا أن وجد وسيطاً بين الكلمة الفرنسية (liberty والكلمة العربية التي قاربها في التعبير الإسلامي الصرف العدل والانصاف، فكان أن عرّف الحرية الفرنسية بالعدل والانصاف الإسلاميّين، هذه النقلة لم تسمح وحسب

بتقريب مضمون الكلمة الافرنجية إلى عقول قرائه قدر الاستطاعة بجعلهم يحسون بنبض المفهوم بدل الاكتفاء بترجمة الكلمة بكلمة أخرى مقابلة لها حرفياً، بل انها سمحت كذلك بأن تدفع الطهطاوي عن نفسه مقدماً اتهامه بالضلال او انه يستورد الافكار المضلة من بلاد الفرنجة"[34].

وهنا يخلص الطهطاوي إلى تعريف الحرية بأنها: رخصة (أي إباحة) العمل المباح من دون مانع شرعي ولا تعارض محظور.. وتنقسم إلى خمسة اقسام.. حرية طبيعية وهي: التي خلقت مع الانسان وانطبع عليها كالأكل والشرب والمشي، مما لا ضرر فيه على الانسان نفسه، وعلى إخوانه، والحرية السلوكية هي: من السلوك ومكارم الاخلاق، والحرية الدينية هي: حرية العقيدة والرأي والمذهب بشرط ألاّ تخرج على أصل الدين، والحرية المدنية هي: الأساس الذي تقوم عليه الدولة الحديثة، والحرية السياسية وهي: المتعلقة بالدولة والخاصة بتأمين الدولة لكل فرد من أفرادها على أملاكه الشرعية[35].

وعلى هذا يرى عبد الله العروي وجود تداخل واضح بين اوصاف الليبرالية، وتحليلات فقهية إذ كان بشأنها الطهطاوي يحاول جهد المستطاع أن يعبر عن افكار ليبرالية في قالب فقهي تقليدي عندما كتب مثلاً "الحرية الطبيعية هي التي خُلقت مع الانسان وانطبع عليها فلا طاقة لقوة البشرية على دفعها بدون أن يعد دافعها ظالماً، فهذه فكرة يصادق عليها الليبرالي ولا ينفيها الفقيه. وقد وقف الطهطاوي بين تكوينه الفقهي وبين تأثره بالأفكار الليبرالية، وهذا هو الأرجح، بيد أن من المهم في هذه المسألة الأخذ بالحرية كمنطلق، وكحق بديهي، وهذا ما يميز الليبرالية على العموم"[36].

يقول محمد عطوان: "كان في نية المُفكرين النهضويين العرب منذ الربع الثاني من القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، نقل قيم الليبرالية الغربية، أو العمل بمظاهر التمدين الاوروبي في بلاد كانت مسكونة بنزعة فكرية تراثية تقليدية محافظة. وقد لعب وفود الافكار الليبرالية دوراً في إزاحة أنموذج السُلطة التقليدي لمصلحة صعود أنموذج الدولة المدنية الحديثة، غير إن المسار الليبرالي العربي لم يسعه أن يتواصل على هذا النحو التطوري طويلاً، فقد جوبه بصعود قيم ومفاهيم ونظم استبدادية عربية أعاقت عملية استمراره"[37].

لذلك ترك عصر التنوير الفرنسي اثراً بالغاً في تفكير الطهطاوي الذي أثر في التفكير المصري نفسه. ما يعني أن بعض افكار هذا العصر الرئيسة لم تكن غريبة على من تربى على تراث الفكر السياسي الإسلامي. والتي منها أن الانسان يحقق نفسه كعضو في المجتمع، وأن المجتمع الصالح هو الذي يهيمن عليه مبدأ العدل، وأن غاية الحكم خير المحكومين، أضف إلى ذلك أن نظرة (روسو) نفسها إلى المشَرع، ذلك الانسان الذي يستنبط بمهاراته العقلية الشرائع الصالحة، والذي يستطيع التعبير عنها برموز دينية بوسع عامة الشعب فهمها والاقرار بصحتها[38].

يقول هشام شرابي: "كان ظهور شخصيات علمية . حاولت الافادة من علوم أوروبا مع الاحتفاظ بهويتها الشرقية كالطهطاوي وخير الدين التونسي . له الدور الكبير في بداية الاصلاح الديني والثقافي ليس في مصر حسب بل في العالم العربي" [٣٩]. فالشغل الشاغل لرجال الفكر والسياسة في العالم العربي منذ نهاية القرن

التاسع عشر وحتى الان هو: العمل على استرداد التراث العربي الإسلامي من ناحية تنقيته مما علق به من شوائب الاوهام والخرافات، وفي ذات الوقت استقبال الوافد الحضاري الجديد من خلال قنوات الاتصال والحوار مع الآخر [40]."فأن ما يجمع رواد النهضة منذ ذلك التاريخ هو انهم نظروا إلى حضارة الآخر فوجدوا ضالتهم في ما بلغته أوروبا من تطور في سائر الميادين، فقرروا، دون موارية الدعوة للأخذ منها النافع والضروري لتحقيق النهوض وبلوغ التقدم، لاسيما ان ما دعوا إليه لا يتعارض مع التراث الإسلامي في شيء"[41].

ويقال إن الطهطاوي كان شديد الاعجاب بالنظم الغربية، ولكنه لم يطالب إلا بتطبيق بعضها في الشرق إذ غلب الموقف التقليدي في فكره السياسي، وإن كان من اسباب ذلك [أوتوقراطية الحكم] في مصر[42]. ومع هذا فالطهطاوي بهذا الدور قد استنبت بذور الفكر الليبرالي، ونبه إلى أصول الديمقراطية الليبرالية، ودعوة المشاركة الشعبية في الحكم، واصبحت اطروحاته محط اعجاب الكثير من الباحثين والدارسين المعاصرين في الفكر السياسي العربي الإسلامي في مصر والعالم العربي.

المطلب الثاني: رؤية الطهطاوي للحاكم الأعلى في الدولة

على غرار الممالك الشرقية كانت سلطنة محمد علي مطلقة الا انه احكم التدبير بتحاشيه عن الحكم الاستبدادي الذي كان لمثله ان يجري على خطته اذ شكل لنفسه مجلساً خاصاً اعتاد المداولة مع اعضائه في جميع الاعمال المتعلقة بالحكومة قبل الشروع في تنفيذها، وألف لكل فرع من فروع الادارة مجلساً من المختصين، وكان إذا دعت الحاجة إلى وضع قرارات مهمة في الزراعة او الاشغال العامة الخطيرة مثلاً يعقد مجلساً لذلك يتمتع فيه حُكام الاقاليم ومدبروها"[٤٣]. "ومع هذا يقال إن محمد علي لم يكن يرغب في أن يتعرف الطلاب المبتعثين إلى الحياة في فرنسا أكثر مما ينبغي. لكن الطهطاوي استطاع أن يقوم بمشاهدات دقيقة للعالم الحديث والقديم معاً، ويقتبس معرفة واسعة عن المؤسسات والعادات السائدة في ذلك المجتمع والأكثر ازدهاراً في زمانه"[٤٤]. "وعليه فأن محمد علي لم يكترث للدستور الفرنسي وحقوق الرعية، وهو الحاكم المستبد، ايماناً منه بأن السواد الاعظم من المصريين ليسوا على درجة من الثقافة أو الوعي القومي الذي يدفع إلى مقاومة الاستبداد، وهو ما حصل مع الفرنسيين لمّا قاوموا نزعة شارل العاشر(١٨٢٤-١٨٣٠م)، الاستبدادية.. لذا فان "تخليص الابريز" لقي بعضاً من حفاوة محمد علي مع أن الكتاب قد حاز على اعجابه قبل نشره"[٤٥].

ويبدو ان الطهطاوي لم يذهب بعيداً في اطروحاته عن الحاكم الأعلى في الدولة. فهو كان يدرك حقيقة النظام الذي يتعامل معه، والذي يتصف بنمط الانظمة القروسطية، فرؤية محمد علي للتحديث والتطور كانت تنحصر في مجالي العلوم الصنائعية، والفنون العسكرية، بمعنى أنه كان يريد أن يبقي دولته على طابعها الشرقي بيروقراطية - عسكرية تكمن قوتها في التصنيع وتحديث الجيش على غرار الامبراطوريات المحيطة بها، التي تصاعدت قوتها بفعل تطور انظمة الحكم والاستكشافات العلمية، ولأجل أن يجاري ما حوله من الممالك والامبراطوريات، فكان عليه ان يتعرف على حجم تلك الاستكشافات العلمية عند الفرنجة..

ومع هذه السياسة التي ينتهجها محمد علي اتبع الطهطاوي اسلوباً براغماتياً من اجل التمفصل في مآلات الدولة وتحديثها، وربما صرف النظر اول الامر عن انتقاد الحاكم، وذهب باتجاه تطوير المؤسسة العسكرية التي كانت طموح محمد علي، والمؤسسات التعليمية في خطوة منه لتهيئة مُناخ معرفي يمكن أن يتقبل أراءه السياسية لاحقاً التي تدعو إلى مشاركة الرعية في الحكم. ويقول: الطهطاوي في "تلخيص الابريز" إن العلوم لا تنشر في عصر الا بإعانة صاحب الدولة لأهله، وفي الأمثال الحكمية الناس على دين ملوكهم"(٤٦).

ولقد "تأرجحت المفاهيم بين مفاهيم الفكر السياسي الليبرالي ومفاهيم السياسة الشرعية التي تبلورت في إطار الأحكام السلطانية، فالطهطاوي رغم مقامه بباريس لم يتخلص من الشيخ الأزهري الذي يسكن رأسه.. فلا يفكر في مفهوم الملك مثلاً في إطار نظرية فصل السُلطة كما بلورها مونتسكيو بقدر ما يفكر فيه بوساطة لغة السياسة الشرعية"(٤٧). فقد "افاض في الاشادة بالحُكام بدءاً من (محمد علي) وصولاً إلى الخديوي اسماعيل وطالب الرعية بطاعتهم على أساس ان طاعتهم من طاعة الخالق باعتبار ان الملك خليفة الله في ارضه، كما نفى أي مسئولية على الحُكام، مؤكداً انه لا أحد يستطيع ان يحاسبهم، وان حسابهم على الله سبحانه، فحسابهم معنوي والتاريخ سيتكفل بذلك"(٤٨). ويعزز هذه الاشادة في (مناهج الالباب) بقوله: "ان مصر في هذا العهد من أحسن البلاد الشرقية حكومة وأفضلها ادارة، اذ فيها من كمال حسن الادارة والضبط والربط، ما يفيد الامن على الارواح والاموال والاعراض، كما أعظم الممالك المشرقية والمغربية، وفيها الصنائع أخذة في النمو والازدياد، وما أنشئ فيها من سكك الحديد الكثيرة الفروع، ومن الترع والجسور والقناطر، زاد كثيراً في تجارتها وزراعتها(٤٩).

وبالرغم من المكانة السياسية والاجتماعية التي كان يحظى بها الطهطاوي في بلاط محمد علي باشا. فيبدو موضوع الحاكم بالنسبة له موضوعا حساسا اذ ترى ثمة انشطار في رؤيته تجاه شخص الحاكم. من جانب استحضر اراء كبار التنويريين الغربيين الذين تناولوا مبادئ [العقد الاجتماعي] كروسو ولوك في مسألة عزل الحاكم المتقاعس تجاه الرعية، حتى أنه كان يُشيد بثورة (١٨٣٠م)، التي خلعت شارل العاشر ملك فرنسا كونه أخل بشروط العقد، لكن يميل تارة أخرى متخذاً من أراء هوبز في مسألة مناصرة الملكية المطلقة، وان حساب الملك امام الله، وليس امام الرعية.

وتعلل نازك ساباياد هذا الانشطار أو التذبذب في فكر الطهطاوي بقولها: "ربما ناجم عن الصراع بين مفاهيمه التقليدية القديمة، والمبادئ السياسية الحديثة التي شاهدها في الغرب، ثم أن الطهطاوي لم يتمكن من الاهتداء إلى مذهب سياسي متماسك يُزيل هذه التناقضات أو يوفق بينها، وهذا أصل التضارب في آرائه السياسية على الارجح"(٥٠).

فيما تبرر منى ابو زيد التذبذب في فكر الطهطاوي بقولها: "إن الطهطاوي عاصر عدداً من حُكام مصر، وعليه فأن اعماله وإنجازاته تختلف حسب عقلية وطموح كل حاكم، وبناءً على مدى اهتمام كل حاكم بالناحية العلمية والثقافية، وعليه اختلفت إسهامات الطهطاوي باختلاف هؤلاء الحُكام"(٥١).

ولعل الطهطاوي قد "قام بهذا الدور الرائد في بلاد الشرق عامة من دون ان يضطر إلى تقديم تنازلات تشوه جوهر الفكر الديمقراطي الليبرالي، وإن يكن قد استعان على ذلك ببعض العبارات التي حاول بها ارضاء ميول هؤلاء الحُكام"(٥٢). ومع هذا "فقد جعل له هدفاً من كشف الغطاء عن تدبير الحُكام الفرنسيين والتنويه بأحكامهم وقوانينهم، وهو أن يكون: "عبرة لمن اعتبر"، أي أن يكون قدوة، وهو بذلك يدعو إلى ضرورة إقرار نظام بديل للنظم الاستبدادية الشرقية، ولهذا قدم الطهطاوي عرضا مفصلا في "تخليص الابريز" للنظام السياسي الفرنسي، وقام بترجمة مفصلة لنص الدستور الفرنسي"(٥٣).

يقول محمد عمارة: "إن الطهطاوي حين تصور الحاكم الاعلى في الدولة انما هو يتحدث عن حاكم شرقي في دولة شرقية، وبالتالي الوعي بمفكرين كثيرين كيف أنهم . في عصر الطهطاوي وقبل عصره . قد استخدموا اساليب شتى، بعضها مغلف في شكل حِكم ومواعظ، وبعضها مسوق في صورة حكايات وأساطير، وبعضها يتخذ أساليب الحديث غير المباشر عن الموضوع كل ذلك لنشر الفكرة التي أرادها، وتمهيد الجو أمامها كي تصل إلى قلب الحاكم وعقله"(٥٤).

فالطهطاوي نفسه ترجم (مغامرات تلماك) التي الفها القسيس (فنلون) ١٦٥١- ١٧١٥، وكان يعمل مربيا لحفيد لويس الرابع عشر(١٦٤٣-١٧١٥م)، دوق (دي بورغون)، ألفها ليربي أميره تربية سلوكية وسياسية طيبة. بمعنى أن الطهطاوي عندما ترجم هذه الرواية الاسطورية كان يمارس هذا الاسلوب في توصيل آرائه السياسية إلى قلب الحاكم الشرقي وعقله، سالكا سبيل (فنلون) إلى قلب (الامير الفرنسي وعقله)(٥٥).

"فالكتاب الذي وضعه (فنلون) لتثقيف تلميذه الدوق (دي بورغون) تثقيفا خُلقيا ينطوي على نقد طغيان لويس الرابع عشر الجامح، وعلى درس خُلقي للأوتوقراطيين يمكن بسهولة تطبيقه على الخديوي عباس(١٨٤٨-١٨٥٤م)، كما كان تذكيره بسعادة مصر وجمالها على عهد ساسوتريس من شأنه أن يستهوي، بطبيعة الحال، من كان يحمل لوطنه المحبة التي كان يحملها الطهطاوي لمصر، لكنه كان من شأنه أيضاً تذكير عباس بما كانت عليه مصر في عهد سلفه محمد علي باشا(٥٦).

(هذه الارض الخصبة، الشبيهة بجنة عذبة تُسبقها أقنية لا تحصى.. هذه المدن المترفة.. هذه الاراضي التي يكسوها كل سنة وبدون انقطاع حصاد مذهب، هذه الحقول المليئة قطعان.. هؤلاء الرعيان الذين كانت جميع أصداء الامكنة لمجاورة تردد الانغام العذبة المنطلقة من نايهم... سعيد هو الشعب الذي يقوده ملك حكيم: أحبوا شعوبكم فأولادكم. إن الملوك الذين لا يهمهم سوى أن يرهبهم الناس، فيستعبدون رعاياهم لجعلها أكثر خضوعاً. إنما هم وباء الجنس البشري...)(٥٧).

يُفهم من هذا أن الطهطاوي مارس هذا الاسلوب غير المباشر في نقد الحاكم في الفترة التي تم نقله من مصر إلى السودان في عهد عباس الاول الذي لا يكن له الود لغرض فتح مدرسة لتعليم ابنائها بغية توسيع رقعة التعليم هناك، والتي اعتبرها الطهطاوي في حينها حجة لإبعاده او نفيه عن مصر. فقد كانت تلك الانتقادات

بمثابة رسائل موجهة إلى القصر بأسلوب مبطن أو في محاولة منه للهمس في آذان الحُكام المتقاعسين عن النظر في شؤون رعيتهم لعلها تصلح أحوالهم.

"لقد قبل الطهطاوي بسُلطة الحاكم، لكنه ألح أيضاً على الحد الذي تضعه لها القواعد الخُلقية. ولكي يشرح الفكرة الإسلامية القائلة بأن الشريعة هي فوق الحاكم، يلجأ إلى تفريق مونتسكيو بين (السُلطات الثلاث) ومما لا شك فيه أن ما شاهده في فرنسا قد عزز لديه فكرة فرض القيود على سُلطة العاهل المطلقة"[٥٨].

ويرى بعض الباحثين والدارسين أن مونتسكيو عكس روسو، فالأخير يمثل في عالم الفكر السياسي مرحلة الانتقال من النظرية التقليدية للدولة في القرون الوسطى إلى الفلسفة الحديثة حول الدولة، ولم يعالج نُظم الدولة الموجودة، على حين مونتسكيو، وكذلك فولتير طالبا بالإصلاح السياسي والديني[٥٩]. "فمونتسكيو يُشيد بالمساواة، ولكنه لا يقصد بها انتفاء الحكم. فالمساواة الصحيحة لا تستهدف أن يخلو الإنسان من آمر، بل تستهدف أن يكون آمره مساويا له، والناس في الحكومة الجمهورية متساوون، وكذلك في الحكومة المستبدة، ففي الاولى هم متساوون لانهم كل شيء، والثانية هم متساوون لانهم ليسوا شيئاً، ومع هذا لم يكن مونتسكيو جمهوريا بل كان يميل إلى حكم الملكية المقيدة (أي الدستورية)[٦٠]. "كذلك الطهطاوي لم يفضل النظام الجمهوري، خصوصاً، وان مسألة اقامة (الجمهورية) بمصر لم تكن مسألة واردة في عصره ولا قضية مثارة بل لم تكن مثارة في العديد من المجتمعات الشرقية الأخرى، وانما كانت القضية المثارة هي استبدال (الملكيات المطلقة) بـ(الملكيات الدستورية) بمعنى المقيدة بالدستور والقانون[٦١].

ومما تقدم فأن الطهطاوي كان أقرب إلى أفكار مونتسكيو دون غيره في مسألة [شكل النظام السياسي للدولة]. "فقد رأى أن الحكم المطلق هو سبب الظلم في الشرق.. ما دفعه إلى ترجمة مواد الدستور الفرنسي كلها ليبين عدالة الحكم في فرنسا ناجمة عن كون الحاكم مقيداً"[٦٢].. "والى ضرورة مشاركة الشعب في الحكم، والى ضرورة أن يكون القانون ديناميكيا، ليتغير تبعا للظروف وليس تبعا لتقديرات الحاكم"[٦٣].

ويبدو أن الرؤية السياسية التي ضمنها الطهطاوي في مجمل اثاره الفكرية دعوته إلى الاصلاح التدريجي في نظام الحكم، وتقييد الحاكم بالقانون، والى أن تكون الحكومة مسؤولة امام الشعب.. فالشعب الذي وضع على عاتقه الطهطاوي مسؤولية مراقبة الحُكام آن الاوان بأن يتفقه في السياسة وان ويتعلم فنونها. وفن السياسة عند الطهطاوي: هو الادارة أو علم تدبير المملكة ونحو ذلك.. والبحث في هذا المجال والتعاطي به والحديث عنه وخوض النقاشات والسجالات في المجالس والمحافل أو عبر الغازيتات (الصحف).. وكل ذلك يسمى بوليتيقة أي (السياسة)، والمشتغلون بها يُسمون سياسيون.. وهنا يصل الطهطاوي إلى فهم أدق للسياسة فهي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها، وعلائقها وروابطها[٦٤]. ويقول الطهطاوي "لقد جرت العادة في البلاد المتمدنة، بتعليم الصبيان القرآن الشريف في البلاد الإسلامية وكتب الاديان في غيرها قبل تعليم الصنائع، وهذا لا بأس

به في حد ذاته.. ومع ذلك فمبادئ بالعلوم الملكية السياسية التي هي قوة حاكمة عمومية، وفروعها مهملة في الممالك والقرى بالنسبة لأبناء الاهالي مع ان تعليمها أيضاً لهم يتناسب والمصلحة العمومية، فما المانع من أن يكون في كل (دائرة بلدية) معلم يقرأ للصبيان بعد تعليم القرآن الشريف والعقائد ومبادئ العربية - مبادى الأمور السياسية والادارية ويوقفهم على نتائجها"[٦٥].

ويصل الطهطاوي بالحديث للوقوف على اقسام السياسة.. فالأول السياسة النبوية، وهي: خاصة بالأنبياء والرسل (يختص الله بها من يشاء من عباده).. والثاني السياسة الملوكية، وهي: حفظ الشريعة - (القانون) على الامة، وإحياء السُنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر بمعنى السياسة (العليا للدولة).. أما القسم الثالث للسياسة فهي: السياسة العامة وتشمل الرياسة على الجماعات كرياسة الأمراء على البلدان، أو الجيوش ومهامها ترتيب احوالهم، وهي تنفيذ اوامر بما يتلقونه من السياسة العليا على المصالح والاقاليم المتعددة للدولة.. أما السياسة الرابعة هي: تلك السياسة الخاصة بتدبير الشؤون المنزلية.. في صورة مصغرة للسياسة الملوكية والعامة. فالمنزل هو ميدانها لذا سميت بالسياسة المنزلية.. والسياسة الاخيرة هي: السياسة الذاتية. بمعنى كل ما يقوم به المرء بمراجعة أفعاله وتصرفاته وأقواله وأخلاقه وشهوته، وزمّها- (تقييدها) - بزمام عقله[٦٦].

وتقوم الدولة في رأي الطهطاوي على ركُنين أساسيين هما: "الحاكم والمحكوم، أي وجود الدولة يشترط وجود مجموعة بشرية صغيرة أو كبيرة، خاضعة لسيادة سُلطة حاكمة واحدة.. واستخدم الطهطاوي كلمات (الحكومة) أو القوة الحاكمة أو (أولي الأمر) أو الملك للتعبير عن السُلطة الحاكمة في الدولة أو المملكة. فالدولة تقتضي حاكماً ومحكوماً، يعني ملكاً ورعية، فلا يُفهم الملك إلا بالرعية، ولا تُفهم الرعية الا بالملك كالأبوة والنبوة"[٦٧].

وقد "انصبت جهود الطهطاوي التي بذلها في حقل الفكر السياسي، بالطبع، على التبشير بالمفاهيم الديموقراطية الليبرالية فيما يتعلق (بالسياسة الملوكية)، أي السياسة العليا للدولة والمجتمع لأنها هي التي تحدد طبيعة التطبيقات التي تتم في أنشطة الحكم وأقسامه، ومُختلف الاقاليم وأنحاء البلاد"[٦٨]. ان التقدم والتمدن والعمران لتلك البلاد الغربية المتحضرة التي شاهدها الطهطاوي.. ما هو إلا نتاج أنظمة حكم متقدمة ومتطورة تعكس طبيعة العلاقة التعاقدية بين الحُكام والمحكومين التي تشئ بحكم الدولة المدنية التي فيها يمثل الشعب حجر الزاوية لهذا الاستقرار السياسي والتطور العمراني.. كل ذلك كان يعيه الطهطاوي ويسجله طامحا إلى تجسيده عمليا في البلاد الشرقية عموما، ومصر بخاصة التي تشهد في ذلك الوقت طوراً من التقدم في عهد محمد علي بالقياس للممالك الشرقية الأخرى.

المبحث الثالث

رؤية الطهطاوي التحديثية للمجتمع المصري

لعل الطهطاوي كانت تشغله الحياة المهنية والعمل ضمن المؤسسات التربوية والتعليمية أكثر من تفكيره في شغل المناصب السياسية مع أنه كان جديراً بذلك، ولكن حرصه الشديد ليكون قريباً من تطبيق، وانضاج

مشاريعه تجاه الدولة ليؤسس للأجيال أهم الركائز الأساسية في المجتمع المتقدم وهي: التربية والتعليم وحقوق المرأة وتنويرها، وعلى هذا سنتناول أبرز محطات الطهطاوي الفكرية والتربوية والتعليمية في هذا المبحث وهي: رؤية الطهطاوي التحديثية للمجتمع المصري الذي سُيقسم على مطلبين فالأول: دور الطهطاوي في مجال التربية والتعليم، أما المطلب الثاني: فقد أُفرِد لتسليط الضوء على الحركة النسوية في فكر الطهطاوي.

الأول: دور الطهطاوي في مجال التربية والتعليم

كانت أولى خطوات الطهطاوي التحديثية حين عودته من باريس هو تحديث وتطوير جهاز التعليم، في مصر وكان يرى صعوبة الأخذ بعلوم ومعارف الحضارات الأخرى ما لم يكن اتصال بين الشعوب، وهذا يحتاج إلى إدراك ومعرفة بلغات الأمم الأخرى. "فقام بتأسيس مدرسة خاصة للغات لتكون الركيزة الأساسية في الاستفادة من علوم ومعارف الأمم والاطلاع على حضارتها بترجمة ما يمكن الانتفاع منه لبلاده. فقد تميز الطهطاوي في الترجمة/ التعريب لإدراكه لمهمته وأهمية الترجمة في نهضة البلاد وتقدمها، فقد تولى عملية الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية في مدرسة الطب بأبي زعبل، وفي سنة ١٨٣٣م انتقل من مدرسة الطب إلى الطوبجية (المدفعية)، في طرا، وقد شعر الطهطاوي لأهمية الترجمة في تقدم البلاد ونهضتها اقترح على محمد علي انشاء مدرسة الالسن، ولقد وافق الاخير على اقتراحه، وانشأها بالقاهرة سنة ١٨٣٦، وكانت تعرف حين ذاك بمدرسة الترجمة، وقد استطاعت هذه المدرسة، وبفضل جهود الطهطاوي أن تُخرج مائة مترجم، خلال عشر سنوات، وأن تترجم إلى اللغة العربية أكثر من ألفي كتاب في مختلف العلوم ، والفنون، والآداب" [٦٩].

وعلى هذا يعلق لويس عوض: "ان مدرسة الالسن قد غذت المثقفين المصريين بمكتبة وافية تشتمل على اهم المراجع الأساسية ووفرت الحد الادنى من الثقافة للمثقفين، ورسخت في نفوس المثقفين أهم المبادئ التقدمية التي بنيت عليها الحضارة الحديثة"[٧٠]. فالطهطاوي يعد ابو الفكر الثوري الحديث، في كل مجال من المجالات الثقافية والفكر السياسي والاجتماعي، وفي التربية والتعليم وفي العلوم الزمنية والدينية، ويمكن ان يقال بأن من عباءة هذا الشيخ قد خرج اعلام الفكر التقدمي في مصر الحديثة، من محمد عبده وقاسم امين وعثمان جلال إلى لطفي السيد وطه حسين وعلي عبد الرازق إلى محمود عزمي ومحمد مندور .. وقد دعا الطهطاوي المصريين إلى أن علوم الدين لا تغني عن علوم الدنيا إن هم أرادوا أن يلحقوا بركب الحضارة"[٧١]..

وهذا ما اشار إليه في (تخليص الابريز) عند احتكاكه بالمؤسسات التعلمية العصرية في باريس بقوله: "ان معرفة العُلماء في فروع الديانة النصرانية هينة جداً، فاذا قيل في فرنسا: هذا الانسان عالم لا يفهم منه أنه عالم في دينه، بل إنه يعرف علما من العلوم الأخرى، ويظهر لك فضل هؤلاء النصارى في العلوم عمن عداهم، وبذلك تعرف خلو بلادنا، عن كثير منها، وأن الجامع الأزهر المعمور بمصر القاهرة، والجامع الاموي بالشام، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفأس، ونحو ذلك كُلها زاهرة بالعلوم النقلية، وبعض العلوم العقلية

كالعلوم العربية، والمنطق، ونحوه من العلوم الآلية،.. والعلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم، فهي دائماً في الزيادة فإنها لا تمضي سنة إلا ويكشفون شيئاً جديداً، فانهم قد يكشفون في السنة عدة فنون جديدة، أو صناعات جديدة"[72].

يقول محمد عمارة: "لقد اتخذ الطهطاوي موقفاً جديداً من معنى مصطلح (العُلماء) فقبل عصره كان المراد (بالعُلماء) هم عُلماء الشريعة فقط.. أو كان ذلك على الاقل في العصور الوسطى.. ولكن الطهطاوي، وربما لأول مرة أيضاً، يفرق بين (العُلماء)، وبين (أمناء الدين) عندما يتحدث عن العُلماء، والقضاة وأمناء الدين.. الذين هم عُلماء الشريعة. فالمراد بعُلماء الشريعة: العارفون بأحكام الشريعة والعقائد الدينية، أحوالاً وفروعا، بمعنى الأحكام المتعلقة بالعمل، عبادات ومعاملات"[73].. "وبما أن الاجتهاد مهمة العُلماء بالدرجة الاولى، نجد أن الطهطاوي طالب بتطوير مناهج الأزهر، ولحاجة العُلماء بالعلوم الحديثة ليتسنى لهم تفسير الشريعة على ضوء حاجات العصر"[74].. من هنا "نادى في ذلك الوقت بإصلاح الأزهر، فهو وإن كان يعترف بفضله عليه في ثقافته، ويصفه في (تخليص الابريز) بصفات جميلة الا انه يرى حاجته إلى الاصلاح والتطوير، واضافة العلوم الحديثة إلى العلوم الدينية، ومع دعوته إلى إدخال العلوم العصرية في الأزهر كان يرى أن تقتبس مدارسنا الجديدة من المدارس الاجنبية المنشأة في مصر، ولهذا كانت "روضة المدارس" كنشر اخبار المدارس الاجنبية وتنوه بجهودها"[75].

ومن وجهة نظر الطهطاوي: "إن الامة التي تتقدم فيها التربية، بحسب مقتضيات أحوالها، يتقدم فيها أيضاً التقدم والتمدن، على وجه تكون به أهلا للحصول على حريتها، بخلاف الامة القاصرة التربية، فأن تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها. فالتربية هي أساس الانتفاع بأبناء الوطن.. وكذلك بالنسبة للتعليم الاولي ضروري لسائر الناس، يحتاج إليه كل انسان كاحتياجه إلى الخبز والماء، وينبغي للحكومة المنتظمة ترغيب الاهالي وتشويقهم لما فوقه من مراحل التعليم، فهو ما به تمدين جمهور الامة، وكسبها درجة الرقي في الحضارة والعمران"[76].

وقد قسم الطهطاوي التعليم الاولي إلى ثلاثة اقسام بعد ان أوجز في تعريف التعليم: بانه الوسيلة العظمى التي يكتسب بها الانسان معرفة ما يجهله بالكلية.. او ما بقي له من تكميل علمه ببعض اشياء جزئية. فالتعليم جزء من التربية المعنوية التي هي تهذيب العقل وترويض الذهن.. واقسام هذا التعليم: أولي ابتدائي، وتعليم ثانوي تحضيري، وتعليم النهائي.. كما أن التعليمات الاولية والمعارف العمومية يجب ان تعم جميع اولاد الاهالي فقيرهم وغنيهم يجب أيضاً ان يكون التعليم الثانوي كثيراً منتشرا في ابناء الاهالي القابلين له الراغبين فيه. فيباح لهم التعليم والتعلم ليكونوا من الدرجة الوسطى بخلاف درجة العلوم العالية[77].

ويقصد الطهطاوي هنا بالعلوم العالية.. "المرحلة النهائية من التعليم الخاصة بأرباب السياسة والرئاسة، وأهل الحل والعقد في الممالك والحكومات فانه ينبغي ان يقتصد في تعليمها والتضييق في نطاقها بحيث يكون عدد تلاميذها محصورا، وعلى اناس قلائل مقصورا. وتبدو رؤية الطهطاوي بخصوص هذا النوع من التعليم..

فهو اذ يُلزم لنظام الدولة نوعان من التربية لتكون مهذبة، أحدهما لأبناء الملوك ورؤساء الدولة، والثانية تربية أبناء الوطن"[78].

وترتبط عند الطهطاوي بمراعاة ميول الصبية واستعدادهم، واتخاذ هذه الميول والاستعدادات معايير لتحديد نوع العلوم ونوع الحرف والصناعات التي يوجهون إلى تحصيها وإتقانها.. ترتبط هذه الفكرة لدى الطهطاوي بموقف يرفض ما يمكن تسميته (طبقية التعليم) التي كانت تعني أن ينحصر الابناء في حدود صناعات الاباء وحرفهم، وهي الفكرة والنظام التعليمي الذي ارتبط بالعصر الاقطاعي، ونظام (طوائف الحرف)، حيث كان ابن الفلاح ينشأ فلاحا فقط، وابن الحداد حداداً وابن النجار نجاراً، وابن رجل الدين شيخا.. الخ".[79].

بمعنى أن الطهطاوي يقف بالضد من (الموقف الاقطاعي) في التربية وناقش أصوله وتاريخه ودعاته عندما شرح مواد الدستور الفرنسي في "تخليص الابريز" فالمادة الثالثة تُتيح لكل إنسان مواصلة التعليم، بلا عوائق أو قيود (حتى يُقرب من منصب أعلى حالة واحدة، مثل أهل الصين والهند ممن توارث الصنائع والحرف ويبقى للشخص دائماً حرفة أبيه[٨٠]. وحث الطهطاوي إلى تكريم العُلماء والمشتغلون بجملة علوم شريفة ينتفع بها ويحتاج اليها في الدولة والوطن، كعلم الفن، والهندسة، والرياضيات، والفلكيات والطبيعيات، والجغرافيا، والتاريخ، وعلوم الادارة والاقتصاد في المصارف، والفنون العسكرية وكل ما كان له مدخل في فن أو صناعة، فأن أهله يجب إكرامهم من أهل الدولة والوطن[٨١].

ويُشير الطهطاوي إلى المطابع الأهلية بوصفها مُعيناً على التعليم والتعلم وركناً عظيماً من أركان التمدن، ويُشيد بدور الالمان كونهم سبقوا غيرهم من الأمم الاوروبية في اختراع طبع الكتب، كذلك الذي اعان على سعة دائرة التمدن في بلاد الدنيا تشجيع الملوك والحُكام للعُلماء واصحاب المعارف في تدوين الكتب الشرعية والحكمية والادبية والسياسية ثم توسع في حرية ذلك بنشره طباعة وتمثيلاً، وخصوصاً جرائد الوقائع.. لاسيما في أوروبا بقانون (حرية إبداء الآراء بشرط عدم ما يوجب الاختلال في الحكومة بسلوك سبيل الوسط بغير تفريط ولا شطط)[٨٢].

لعل الطهطاوي هنا استوحى من حركة التنوير الاوروبية مطلع القرن السادس عشر، والتي شكلت الة الطباعة عماد الحركة اللوثرية، إذ صادف ظهوها مع اختراع المطبعة فساهمت إلى حد كبير في طبع، ونشر افكار حركة الاصلاح الديني سيما أن طبع المزيد من الكتب التي تبشر بالتحولات الفكرية والتنوير وتنتقد الكنيسة ساهمت أيضاً في نشر اللغات المحلية المغمورة. فالطهطاوي هنا يعزز دور وأهمية الطباعة في تعزيز اللغة المحلية واثبات خصوصية الهوية التخيلية للمصريين، في الوقت الذي كانت اللغة العثمانية هي الرسمية في التعليم والصحافة. وهذا واضح فحين "اسندت له مهمة رئاسة تحرير جريدة ((الوقائع المصرية)) حاول جاهداً تعريب الصحيفة، فكانت المواد التركية تشغل النصف الايمن من صفحات الجريدة باعتبار أن التركية كانت لغة البلاد الرسمية، بينما كانت العربية تشغل النصف الايسر باعتبار انها الفرع لا الاصل، فعكس الطهطاوي الموضوع، وخصص العمود الايمن للمادة العربية، والايسر للمادة التركية، والخطوة الأخرى جعل

اخبار مصر تتقدم كل الاخبار ثم بعد ذلك الاخبار الواردة من الخارج، واستطاع أن يحصل على ترخيص بذلك من ديوان المدارس الذي كان يشرف على إصدار الجريدة"[٨٣]. ولا يعني هذا أن الطهطاوي "يتخلى عن رابطة الدين لكنه يتمسك بالوطنية، والدين ويرى فكرة الوطنية إحدى الدعائم التي قام عليها التمدن الغربي، فأراد ان ينقلها إلى المجتمع المصري ضمن مجمل الافكار التي دعا اليها، وليس معنى ذلك أنه يستبدلها بالدين، بل يؤكد على رابطة الدين إلى جانب الاخوة الوطنية. فهو لم يفصل رابطة الاخوة الوطنية عن رابطة الاخوة الإسلامية التي تجمع بين مختلف الشعوب الإسلامية، فهو حريص على انتمائه الإسلامي، فضلاً عن حرصه على انتمائه المصري الذي يعود بجذوره إلى الاصل الفرعوني"[٨٤].

وعلى ما يبدو ان دعوة الطهطاوي للتعليم كانت شاملة لم يخص بها طبقة من المجتمع دون الطبقات الأخرى. بل انه طالب في توسيع رقعة التعليم وولادة طبقة وسطى التي يراها الأساس في تمدن وتحضر المجتمع وهذا ما سجله من خلال رحلته الباريسية. كيف تنهض المجتمعات وتتطور؟ من خلال وجود الطبقة الوسطى التي تتمتع بانتعاش مادي ومعرفي، وهذا جانب من رؤاه الليبرالية في مجال التربية والتعليم التي حاول ترسيخ جذورها في المجتمع المصري.

المطلب الثاني: الحركة النسوية في فكر الطهطاوي

لقد كانت اولى خطوات الطهطاوي للنهوض بواقع المرأة الاجتماعي التعلم والتعليم الذي يمكن ان يكون سلاح للمرأة في الدفاع عن حقوقها في المجتمع، بعكس المرأة الجاهلة المسلوبة الحقوق. فلم يجترأ اذن (المسألة النسوية) حين أطلق مشروع التربية والتعليم في عموم المجتمع المصري بخاصة والعالم العربي عامة، وعلى هذا فقد "أفرد الطهطاوي قسطاً وافراً من أثاره الفكرية يخص [المسألة النسوية]، ولكونه زاول مهنة التدَّريس وتولى أدارة المدرسة المصرية للغات الأجنبية فقد ألَّح في طلب تعليم البنات رغبة منه في اجتثاث جذور التخلف الاجتماعي"[٨٥].

من هنا يقال بأن الطهطاوي "هو الذي وضع الأساس المكين لتحرير المرأة ودعا لحقها في التعليم والعمل قبل قاسم أمين بخمسين عاما"[٨٦]. "فقد منحها فرصة التعلم والمساواة في الحقوق، مشدداً على انعدام التضارب بين الشريعة والقوانين الوضعية"[٨٧]. ويتفق مع هذا الرأي محمد عبدهُ(١٨٤٩- ١٩٠٥م)، الذي "تمنى أن تنهض هذه القلة المستنيرة من النساء المتعلمات بتكوين جمعية نسائية تقيم المدارس لتعليم البنات، وحبذ هذا الدور لهن على ما يشغلهن من أمور السياسة واستقبال عليه القوم في الصالونات[٨٨]. وفي السياق ذاته أكد قاسم أمين "أن المرأة لا يمكنها ان تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية، فيجب أن تتعلَّم كل ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يوافق ذوقها، وإتقانه بالأشغال به حتى شاءت"[٨٩].

ويرى الطهطاوي كغيره من زعماء، الإصلاح، "أن أحد أسباب تخلف العالم الإسلامي راجع إلى تهميش المرأة التي لم تتح الفرصة أبداً لها للمشاركة في الحياة العامة، بالرغم من أن مقتضيات الشريعة الإسلامية تخول لها ذلك. فالإسلام حسب الطهطاوي لم يكن قط عقبة أمام المرأة، بل العائق الحقيقي الذي يحد من تفتحها

وتطورها هو تلك العوائد المحلية المشوبة بجمعية جاهلة"[٩٠]. من هنا "يسارع أمين إلى اظهار براءة الدين الإسلامي من الحال المزرية التي ترزح تحت كابوسها المرأة المصرية. فالإسلام ليس سبب انحطاط المرأة في المجتمع العربي، انما الاخلاق الموروثة عن الأمم التي انتشر فيها الإسلام، والعامل الاكبر استمرار هذه الاخلاق توالي الحكومات الاستبدادية"[٩١].

يقول محمد عمارة: "نحن هنا أمام شيخ يفهم تراث الإسلام فهماً مستنيرا.. وأمام مصلح يناضل في تحرير المرأة الشرقية من أغلال الجهل.. وأكثر، من ذلك أمام إنسان متحضر في نظرته للمرأة.. قد امتزج في عقله الفهم المستنير للتراث، بحرص المصلح على نهضة المرأة، بالذوق المتحضر للإنسان الحديث"[٩٢]

ولم يقف طموح الطهطاوي وسعيه عند المطالبة بتعليم المرأة القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك، بل تحدث عن تعليمها وتعلمها (المعارف والآداب) عموما، فليست المعارف والآداب في النساء الا محامد كالرجال، وإذا كان تعلم الادب حسن كما الرجال، فأن رفاعة يرى انه يُحسن الادب في النساء زيادة، لما فيهن من الرفعة الطبيعية، والمحاسن المعنوية، فنسبة ذكاء المرأة الطبيعي إلى اخلاقها وعوائدها كنسبة لطافتها وظرافتها إلى أعضائها الظاهرة، فهي بالآدب جميلة حساً ومعنى[٩٣].

ويعد كتاب (المرشد الأمين) أول كتاب عربي حديث يُكتب في التربية، ويدعو إلى تعليم البنات، حيث كانت المرأة ما تزال حتى ذلك الوقت حبيسة الجدران، بعيدة في الغالب عن أي نوع من أنواع التعليم، خاصة التعليم الوطني الرسمي، حيث وجدت في مصر والشام بعض المدارس التي تشرف عليها الارساليات الدينية والجاليات الاجنبية، ولم تظهر أي مدرسة رسمية وطنية للبنات. ما عدا مدرسة للقابلات في مصر[٩٤].

ويدعو الطهطاوي في كتابه هذا بأن تنال الفتاة حظها من التعليم كما ينال الفتى، مدعما رأيه بأمور شتى ولعل من أبرزها:

- ان التعليم له أثره القوي في إسعاد بيت الزوجية، وحُسن معاشرة الأزواج. فالتعليم يخلُق التناسب والتجانس بين الزوجين، ويجعل المرأة أهلا لمشاركة الرجل في الكلام، وتبادل الرأي، ويبعدها عن سخف العقل والطيش، الذي ينتُج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها، وإن حصول المرأة على العلوم والمعارف، والثقافُة الممتازة أجمل صفات الكمال، وأرفع قدراً عند الرجُل من الجمال..
- ويضاف إلى ذلك بأن التعليم يهيئ للمرأة سبيل العمل، فتتعاطى من الاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، إذا دفعتها الحال إلى ذلك، وهذا من شأنه أن يشغلها عن البطالة، فأن فراغ يدها من العمل يشغل لسانها بالأباطيل، وقلبها بالأهواء، فـ "العمل يصون المرأة عما لا يليق، ويقربها من الفضيلة، إذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال، فهي مذمة عظيمة في حق النساء، فأن المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها، وفيما يأكلون، ويشربون، ويلبسون،

ويفرشون وفيما عندهم وعندها وهكذا.."[٩٥]. بمعنى أن الطهطاوي: "لم يحدد لتعليم المرأة آفاقاً تحدد دائرة حياتها بالمنزل والاولاد والزوج فقط.. بل ربط (العلم) عندها (بالعمل).. ويجتهد ليؤصل، تاريخيا وشرعياً، إباحة العمل للمرأة، فلقد ساغ لنبي الله (شُعيب) أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية، بدون ان يقدح ذلك في حقه بشيء، حيث لا مفسدة في ذلك، لان الدين لا يأباه.. ونساء النبي ونساء الصحابة كن يسعين على عيالهن، ويخدمن ازواجهن، ويمتهن أنفسهن.. أي يتخذن لأنفسهن مهنة من المهن .بل ويقمن بالغزو مع الجيش المقاتل.. وفي الصحيح قالت ام (ربيع): كنا نغزو مع النبي (ص) فنسقى القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى إلى المدينة، ونداوي الجرحى"[٩٦].

"لقد كانت اسهامات الطهطاوي في هذا المجال قائمة على الدعوة بجرأة لقضايا تعليم الفتاة، وتعدد الزوجات، وتحديد الطلاق، واختلاط الجنسين، يقول في كتابه "تخليص الابريز" متحدثاً عن عادات الفرنسيين في اختلاط الرجال بالنساء، نافيا أن يكون الاختلاط والتبرج داعيا إلى الفساد، أو دليلاً عن التساهل في العرض: (ولا يُظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عِرض لهم في ذلك، حيث إن العرض يظهر في هذا المعنى أكثر من غيره، لأنهم وإن فقدوا الغيرة، لكنهم إن علموا عليهن شيئا كانوا شر الناس عليهن، وعلى أنفسهم، وعلى من خانهم في نسائهم، غاية الأمر أنهم يخطئون في تسليم القيادة للنساء، وإن كانت من المحصنات لا يخشى عليهن شيء"[٩٧].

ويقول الطهطاوي: "كثيراً ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطاء، وملخص ذلك: (أن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة)، والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين.. وقد لا حظ الطهطاوي في بلاد فرنسا أن العفة تستولي على قلوب النساء المنسوبات إلى الرتبة الوسطى من الناس دون نساء الأعيان، والرعاع. فنساء هاتين المرتبتين يقع عندهم الشبهة كثيراً، ويُتهمون في الغالب"[٩٨].

وعلي هذا يعلق لويس عوض بقوله: نفهم من دعوة الطهطاوي بأن((وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة))، هي: بمثابة رد اعتراض قائم في أذهان الناس بخصوص هذه المسألة. فالطهطاوي على حد قول عوض رأى فيه وهماً لابد من إزالته، مستنداً إلى ما شاهده في فرنسا من سفور النساء وتحررهن ومساواتهن بالرجال من دون أن يؤدي ذلك إلى تدهور الأخلاق عند نساء الطبقة الوسطى، ولا شك أن الطهطاوي كان من أبناء الطبقة الوسطى، وهي أشد الطبقات محافظة في جميع بلاد العالم، وأنه كان حريصاً على طمأنة أبناء هذه الطبقة، من دون بقية الطبقات، على شرفهم أن هم أذنوا لنسائهم أن تسفر وأعطوهن القدر الكافي من الحرية والمساواة الحافظ لكرامة الإنسان، ولحقوق الإنسان.. وعليه فالمشكلة ليست في سفور المرأة أو حجابها، ولكنها في التربية الصالحة والتربية الفاسدة[٩٩].ومع هذا فثمة أمور سلبية قد شخَّصها الطهطاوي في هذه المسألة عادها من الخصال الرديئة عند الفرنساوية وحسب

قوله: (قلة عفاف كثير من نسائهم. وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة بمثل المصاحبة والملاعبة والمسايرة، ومما قاله بعض أهل المجون الفرنساوية لا تغتر بإباء امرأة إذا سألتها قضاء الوطر، ولا تستدل بذلك على عفافها، ولكن على كثرة تجربتها.. كيف وأن الزنا عندهم من العيوب والرذائل؟)[١٠٠].

ويُفهم من هذا ان الطهطاوي لم يقتبس من الفرنساويين مجمل سلوكياتهم الخاصة بتعاملهم مع النساء اقتباسا بل هو كانت تعجبه من ذاك همة المرأة الفرنساوية وثقافتها ودورها الفعّال في المجتمع، وهذا ناتج من تعلمها المبكر أو في استحصالها على فرصتها الحقيقية في التعلم، وقد ظل متحفظاً على بعض سلوك الفرنسيين في هذه المسالة، وغيرها كتصنيفهم للنساء وتمايزهم بين المرأة البيضاء والملونة في حالة من التمييز اللوني أو ارستقراطية اللون إن صح مثل هذا القول.. إذ شخص تلك الحالة بقوله: (أن الفرنسيين لا يُزوجون عادةً الزنجية للأبيض أو العكس محافظة على عدم الاختلاط في اللون، حتى لا يكون عندهم أبن أمة)[١٠١].

وبخصوص الزواج الذي لا يزال أحد المسائل الشائكة في قوانين الأسرة الجاري بها العمل في الدول الإسلامية، فقد تمت معالجته بكثير من الحيطة. فالطهطاوي يعارض مبدئياً (تعدد الزوجات) غير أنه لا يُدلي برأيه هذا صراحة [١٠٢]. مع أنه يرى تعدد الزوجات أمراً مباحا في الشريعة الإسلامية، وله فضائل.. (قد أباحه الله لطفا بالذين تتجاوز بهم الرغبة الجنسية للزوجة الواحدة، لكن يلزم ذلك بشرط العدل بين الزوجات مستعيناً بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فأن خِفتم ألا تعدِلوا فواحدة).. وقول الرسول (صلى الله عليه واله): (مَنْ كان له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) [١٠٣].. أما عن حياة الطهطاوي الخاصة.. فأن الرجل قد كره تعدد الزوجات، ونبه على مضاره، ودعا إلى تقييده.. ولقد كان سلوكه الخاص مطابقا لهذه الآراء.. فهو الذي كتب لزوجته بخط يده تلك الوثيقة النادرة المثال في عصره تعهد بها لها بعدم الزواج بأخرى، وهي على قيد الحياة [١٠٤].. بمعنى أن تعدد الزوجات عند الطهطاوي "لا يعده ممنوعا على حد تعبير حوراني.. غير أنه قيده بالقول إن الإسلام لم يسمح به إلا شرط أن يعدل الزوج بين زوجاته، وقد أخذ كُتاّب لاحقون هذه الفكرة وقلبوها إلى تحريم عملي للزواج بأكثر من امرأة"[١٠٥].. وبهذا المعنى فموقف الاسلام كان ومازال صريحاً حيال مسألة تعدد الزوجات التي أباحها ليصل الى اربع شرط أن يعدل الزوج بين زوجاته، في المأكل والملبس والمبيت، وغيرها من الحقوق الزوجة الاخرى مما يكون في مقدوره واستطاعته.

أما بخصوص اشتراك المرأة في الحكم، فيبدو أن الطهطاوي كان يساير ظروف ذلك الزمان فلم يكن للمرأة حظٌ أوفر في هذه المسالة فقد راحت تبريراته تأخذ جانباً شرعياً.. ومع أنه أكد على "أن المرأة لا تقل عن الرجل ذكاء وحساسية، نفى أن يكون لها حق الحكم والقضاء لان الشريعة الإسلامية حظرت ذلك"[١٠٦]. ويقول حوراني: "أن الطهطاوي لم يدعو على خروج النساء من الخدر، والاشتراك في الحياة العامة، مع أنه خصص فصلاً ذا مغزى عن الحاكمات الشهيرات، بمن فيهن كليوباترا، لكنه كان يرغب في أن يعاملن معاملة أحسن ضمن العائلة"[١٠٧].ومما تقدم يتضح أن الطهطاوي مازج بهذه الافكار بين ثقافته الإسلامية، وما تلقاه من تجربته في باريس، وما تأثر به من

النتاجات الفكرية لكبار المفكرين الغربيين من أصحاب الميول الليبرالية الذين أفردوا جانباً من أثارهم الفكرية للمسألة النسوية، أمثال هوبز ولوك وروسو. "فعند هذا التيار يعرف مفهوم النسوية بأنه: نظرية المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الجنسين، وكذلك الاعتقاد بأن المرأة يجب أن يكون لها من الحقوق والفرص مثل ما لدى الرجل"[١٠٨]. ومع هذا فأن الطهطاوي ناقش المسالة النسوية بتدرج كون الاعراف السائدة لا تسمح بدخول المرأة كعنصر مشارك للرجل في كل المفاصل الحياتية.. ويبدو أن الطهطاوي هنا حاول أن يستل ما يمكن الاستفادة منه بخصوص هذه المسألة وزجها ضمن النسق الثقافي الإسلامي لتكون منسجمة في المنهاج التربوي والتعليمي الخاص بتعليم، وعمل وتثقيف المرأة المصرية من دون أن يتجاوز في طرحه هذا حدود الشريعة الإسلامية، إنما أراد بخطوته هذه أن يصل إلى الفهم الصحيح للنصوص الدينية التي ساوت بين الرجل والمرأة. مع الالتزام بالقواعد التي أوصت بها الشريعة الإسلامية بخصوص حشمة المرأة وعفافها، وهذا ما اشار إليه في (المرشد الامين) بجملة من الوصايا التي تخص المرأة بقوله: "انه يجب على المرأة الاحتجاب من الاجانب، ويُحرم على الرجُل النظر إلى شيء من المرأة الاجنبية، ولو زوجة لأخيه او أختا لزوجته ولو في حالة أمنْ الفتنة، وكذلك نظر المرأة إلى الاجنبي حرام ولو زوجاً لأخُتِها مالم يكن مُحرما، ويُحرم أن يخلو رجُل بأجنبية"[١٠٩].

من هنا يظهر أن الطهطاوي حين يستعرض مكانة المرأة في المجتمع لم يتخلَ عن تلك الثوابت الدينية التي تربى عليها كرجل دين أولاً، ولكن حاول ان يترجم تلك النصوص في القرآن والسنة النبوية التي تؤكد على دور المرأة في المجتمع مع ما شاهده من مكانة للمرأة الغربية وتحديدا الفرنسية من أجل ايلاء الموضوع أهمية، ومفاد هذا هو مناصفة المرأة للرجل في الحياة المدنية.. وعليه فأن افكاره هذه بخصوص نصرة المرأة واعطاءها الحقوق تبلور لاحقاً، وأصبحت محط اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين في هذا الشأن.

الخاتمة

لقد عكست الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في مصر والعالم العربي عموما على مجمل افكار الطهطاوي، فهو ولد في السنة نفسها التي جلت فيها الحملة الفرنسية عن مصر، وحين تولى محمد علي امارة مصر بأربع سنوات من ولادته (١٨٠٥م) حصل تحول في حياة أسرة الطهطاوي فقلبها من اليسر إلى العسر بعد أن ألغى محمد علي نظام (الامتيازات)، ولم تقف تلك الظروف لتصبح عائقا في تعلم الطهطاوي. فقد تلقى دروسه التقليدية بما كان يعطى للطلبة في الأزهر كالأصول والمنطق والعقائد ودروس في النحو وغيرها، وبما ان طموحاته كانت ابعد من هذا، ومن حسن حظه انه صادف أحد الأساتذة الالمعين، وهو الشيخ حسن العطار الذي كان سابق عصره بما يمتلكه من العلمية. فقد كان ملمّاً في العلوم العصرية والمعارف التي اكتسبها من خلال اسفاره في البلاد العربية وغيرها. وما تركته اثار الحملة الفرنسية بما شاهده من علوم عند الفرنسيين حين كان يتردد مع جملة من عُلماء الأزهر على (المجمع العلمي) الذي جلبه بونابرت خلال الحملة، وكان كثير التساؤل مع نفسه.. (أن لا بد لهذه البلد أن تنهض نهضة علمية تصل إلى ما وصلت

إليه أوروبا في ذلك الوقت). فوجد العطار في الطهطاوي ضالته فكان يطلعه على العلوم العصرية، كما يستمع في مقابل ذلك إلى نتاجات تلميذه. فأعجب الاستاذ بعلمية تلميذه ونباهته.. فدفع هذا العطار إلى ترشيح الطهطاوي في البعثة العلمية الاولى الذاهبة إلى باريس التي اوعز بها محمد علي.. واوصاه بأن يدون ويسجل كل مشاهداته عن بلاد الفرنجة.. وقد ترجمها ودونها الطهطاوي في كتابه (تخليص الابريز) الذي يعد رائد الرحلات الشرقية كونه اسس لمشاهدات استغرابية اصبحت فيما بعد مرجعا للرحالة العرب وغيرهم.. فقد دون اغلب الاثار الغربية، ولكبار فلاسفة الثورة الفرنسية وغيرهم من مفكري عصر الانوار الأوروبي كفولتير ومونتسكيو وروسو ولوك وسواهم.. وتساءل في نفسه إلى ضرورة اعادة بناء المجتمع الانساني على اسس جديدة كالحرية والمساواة والاخاء.. وطرح افكاراً جديدة كالقول بأن الشعب يمكنه ان يشترك في عملية الحكم، وان الشرائع يجب ان تفيد الشعب، وان الشعب هو مصدر السُلطات.. فالفكرة الأساسية كانت في تخليص الابريز مسألة مفهوم الحرية التي ناظرها بما موجود في التراث الإسلامي كالعدل والانصاف.. فقد دفع بذلك عن نفسه ما يمكن اتهامه بالضلال او انه يستورد الافكار من بلاد الفرنجة اذ كان كثيراً ما يستشهد بالنصوص القرآنية والسنة النبوية واخبار العرب نائياً بنفسه عن الانزلاق في هوة التغريب.

وثمة عقبات واجهت الطهطاوي مع انه مدرك تماما طبيعة النظام السياسي الذي كان يعيشه والذي يتصف بالأوتوقراطية، وهو المثقف الرسمي، ومع هذا فقد مارس النقد بصورة ظاهرة تارة، وأخرى مبطنة ليحافظ على جوهر الفكر السياسي الليبرالي. فقد حصل ان مارس النقد في عهد الخديو عباس الاول الذي استبعده إلى السودان بحجة فتح مدارس للتعليم هناك. لكن الطهطاوي استثمر وقت الفراغ لديه بترجمة مغامرات تلماك وهي نقد لاذع موجه للحكام.

وفي المحور الاخير من الدراسة سُلط الضوء على اهم محطة من محطات الطهطاوي الفكرية وهي التربية والتعليم عادا ذلك بأن التعليم أساس المملكة المتمدنة، ويجب ان يكون شاملا ولا يخص فئة دون أخرى، ولمختلف العلوم العصرية بل انه نصح بتعليم الصبية إلى جانب الدروس التقليدية التي تعطى لهم. بأن يتعلموا فنون السياسة وانواعها.

كما عالج الطهطاوي اسباب جهل المرأة المسلمة. فالمشروع النهضوي الذي تبناه الطهطاوي كان مشروعا متكاملا اذ لم يجتزئ منه مسألة دون أخرى.. فقد ناقش مسألة تمكين المرأة من المعرفة والعلم في الشرق بشكل عام والمرأة المصرية على وجه الخصوص، وتطرق إلى اسباب تخلفها عاداً ذلك إلى انحطاط المجتمع الشرقي المشبَّع بالعادات والتقاليد البالية الموروثة قبل الإسلام حسب ما اشار إليه في الكثير من كتاباته، وأكده رواد الاصلاح في عصره وبعده.

وقد استعان الطهطاوي بالتراث والسنة مبررا ان لا دخل للإسلام في تخلف المرأة، واجتهد ليؤصل تاريخيا وشرعيا اباحة العمل بالنسبة للمرأة من خلال الاستشهاد بمواقف المرأة عبر التاريخ.. ومسألة أخرى ناقشها تخص

المرأة كالزواج والطلاق والاختلاط. مبينا ان لا دخل للاختلاط بفساد المرأة انما التربية هي الأساس في فساد المرأة من عدمه.. وهذا ما اكده في كتابه (المرشد الامين) بجملة وصايا تخص حشمة المرأة والاحتجاب من الاجانب.

إن تلك الجهود التي بذلها الطهطاوي بخصوص إبراز صوت المرأة في مجتمع ذي طابع ذكوري- أبوي، والعمل على اعطائها مكانتها الحقيقية وفق الشريعة السمحاء ساهمت فيما بعد في بلورة أفكار تنويرية لجملة من المصلحين والمفكرين النهضويين العرب، ولمختلف التيارات الفكرية التي تناولت قضايا المرأة بالتفصيل.. ولا ننسى من ذلك مساهمات المصلحين في هذا الشأن من أمثال الشيخ محمد عبده، وبعده قاسم أمين، وأحمد لطفي السيد وسواهم.

الهوامش:

* تعرف الليبرالية: بانها مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الافراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها. سليمان بن صالح الخراشي، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، بلا مكان طبع، ١٤٢٩، ص١٢.

(١) نظام الالتزام، وهو أن تعهد الدولة إلى الملتزم(وهو في العادة شخص أو مجموعة أشخاص)، بمهمة جباية الأموال المستحقة لها عن الأراضي والأملاك لقاء احتفاظه بفائض الالتزام، وهو الفرق بين ما يجمعه الملتزم من الضرائب، وما يدفعه للدولة.. يعود هذا النظام في أصوله إلى عهد الدولة العباسية(١٣٢/٦٥٦هـ-٧٥٠/١٢٥٨م)، وأقرت الدولة العثمانية العمل به في العديد من ولاياتها منذ أواخر القرن السادس عشر، وحى منتصف القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨١١م أقدمت حكومة محمد علي باشا على مصادرة كل الالتزامات من مالكيها السابقين الذين كان معظمهم من البكوات المماليك، وفي عام ١٨١٤، وما أن تم تنفيذ المسح في الدلتا، حتى جُرد الملتزمون مما كان تحت أيديهم من أراضي الخراج على الرغم من أنهم عُوضّوا بمبلغ من المال يُعادل قيمة((الفايظ). نقلاً عن : أحمد محمد نوري أحمد العالم، الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا(١٨٠٥-١٨٤٨م)، مجلة أداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد،(٧٣)، ٢٠١٨، ص٤٤٨، مزيد من التفاصيل ينظر: عفاف لطفي السيد مارسو، مصر في عهد محمد علي، ترجمة، عبد السميع عمر زين الدين، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢١٣، وما بعدها.

(٢) جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص٣١. كذلك: ينظر: حسين فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي رائد فكر، وإمام نهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص٥٥ص٥٦.، ايضا مزيد من التفاصيل ينظر: صالح مجدي، حُلية الزمن بمناقب خادم الوطن- سيرة رفاعة رافع الطهطاوي، تحقيق، جمال الدين الشيال، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٨٥، ص١٧ص١٨.

(٣) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل- الخلفية التاريخية- الفكر السياسي والاجتماعي، ج١، ج٢، مكتبة مدبولي، ط٤، مصر، ١٩٨٧، ص٢٤٣.

(٤) رفاعة رافع الطهطاوي، الاعمال الكاملة- التمدن والحضارة والعمران،ج١، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠، ص ص٤١-٤٢.

(٥) جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مصدر سبق ذكره، ص٣١.

(٦) صالح مجدي، حُلية الزمن بمناقب خادم الوطن- سيرة رفاعة رافع الطهطاوي، مصدر سبق ذكره، ص٢٢ص٢٣.

(٧)جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

(٨) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٣.

(٩) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

(١٠)جهاد تقي صادق، الفكر السياسي العربي الإسلامي (دراسة في أبرز الاتجاهات الفكرية)، بغداد، ١٩٩٣، ص٢٠٩.

(١١) المصدر نفسه، ص٢١٠.

(١٢) ولد الشيخ حسن العطار في القاهرة سنة ١٧٦٦ لاب كان يعمل عطارا اسمه الشيخ محمد كنت من اصول مغربية انتقلوا إلى مصر، وكان لهذا الوالد حبا في العلم، لذا فهو الذي شجع ورعا ولده (حسن) للتعلم في الأزهر. فاخذ الولد يحضر حلقات لكبار مشايخ الأزهر في ذلك العصر، ومنهم الشيخ محمد الامير، والشيخ محمد الصبان. هرب الشيخ حسن العطار إلى صعيد مصر مع جملة من العُلماء اثناء دخول الحملة الفرنسية ١٧٩٨ خوفا من بطش الفرنسيين. ثم عاد بعد مدة من الزمن بعد ان استقرت الاحوال. فاتصل ببعض رجال الحملة من العُلماء، فأفاد منهم باطلاعه على كتبهم وآلاتهم وتجاربهم العلمية. فكان ذلك بدء ميله إلى تقدير العلوم الطبيعية، والمناداة بضرورتها. وبعد الحملة الفرنسية رحل خارج الديار المصرية، واستقر به المطاف في الشام ، ثم اقام بدمشق زمناً، وحج، وجال في فلسطين ، وبعد أن استقرت الاحوال في مصر، واصبحت الولاية لمحمد علي عاد الشيخ العطار إلى دياره سنة ١٨١٥. فعاد للتدريس في الأزهر، وكان محمد علي باشا يجله ويعظمه، وتصدى لمشيخة الأزهر ١٨٣٠ حتى وفاته سنة ١٨٣٥، وله من المؤلفات عدة: في الادب ككتاب العطار وله في النحو، وله تأليف في الاصول والمنطق والهندسة والطب والتشريح. وتعلم مبادى الهيئة، والعمل بالإسطرلاب وشرح الأزهرية. مزيد من التفاصيل ينظر: محمد عبد الغني حسن، حسن العطار، دار المعارف، ط٢، جمهورية مصر العربية، سنة بلا، ص ص٢٠-٢١. كذلك ينظر: جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، مؤسسة هنداوي، مصر، ١٩٤٥، ص ص١١.١٢.

(١٣) أحمد أحمد بدوي، رفاعة الطهطاوي بك، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة،١٩٥٢، ص ص١٣-١٤.

(١٤) جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص ص١١.٢٧.

(١٥) جمال الدين الشيال، المصدر نفسه، ص١١، مزيد من التفاصيل ينظر: صالح مجدي، حُلية الزمن بمناقب خادم الوطن - سيرة رفاعة رافع الطهطاوي، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٦ .٢٧.

(١٦) أحضر نابليون خلال حملته على مصر (١٧٨٩-١٨٠١) ١٦٧ عالما، ويقول المؤرخ "فوربيه" في مقدمة كتاب "وصف مصر": ولقد استحضرنا معنا من أوروبا جميع الآلات الخاصة بفن الطباعة، هذا الفن الذي كان مجهولا للشرقيين، قد شد انتباه جميع المصريين. فعندما كان بونابرت في مرسيليا أحضر معه طابعتين: الطابع الأول "مارك أوريل"، والطابع الثاني "جان جوزيف مارسيل"، فلقد حرص نابليون بونابرت على أن يوطد أركان دعايته بمطبعة يحملها معه لتساعده فيما يرمى إليه، فأمر بإعداد المطبعة وتزويدها بالحروف العربية واليونانية والفرنسية، كما كان لهذه المطبعة هدف آخر وهو إصدار صحيفة "كوربيه" الصحيفة السياسية، وصحيفة "لاديكاد إيجبشن" الصحيفة العلمية، وطباعة بعض الكتب والمنشورات. مزيد من التفاصيل ينظر: طلعت فهمي خفاجي، الاستشراق والمستشرقين، دار ومكتبة الاسراء لطباعة الكتب الجامعية والعلمية، مصر/ طنطا،٢٠١٣، ص ص٦١-٦٢.

(١٧) جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص١١.

(١٨) تعد البعثة الاولى التي ذهبت إلى فرنسا صيف ١٨٢٦م، وتضم (٤٠) طالبا، فضلا امام البعثة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، وأحمد أفندي مختار المسؤول الاداري عنها، ثم التحق بهم فيما بعد اثنان وقد نجحوا جميعاً في الامتحانات النهائية،

فيما عدا خمسة لأسباب تعود إلى نقص كفاءتهم أو مرضهم.. وقد تلقوا مختلف العلوم العصرية، في الادارة الحربية والمدنية والسياسية، وفي علم الادارة البحرية والمدفعية والهندسة العسكرية، والطب والجراحة، وفي الفلاحة والتاريخ الطبيعي، والمعادن وفي العلوم الكيميائية، وفن صب المعادن وصناعة الاسلحة وفي الحفر والطباعة ، والطهطاوي كان مختص في فن الترجمة. جمال الدين الشيال، المصدر نفسه، ص١٢، مزيد من التفاصيل كذلك ينظر: جمال بدوي، محمد علي وأولاده، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥٢.

(١٩) ينظر: محمد عبد الغني حسن، حسن العطار، مصدر سبق ذكره، ص٢٦.

(٢٠) ينظر: رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢، ص١٠.

(٢١) محمد عطوان، صور الآخر في الفكر السياسي العربي المعاصر (الاستشراق – العَلمانية – الأيديولوجيا - الاستعمار)، الرافدين، بيروت، ٢٠١٧، ص ص٧٨- ٧٩.

(٢٢) ينظر: رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق كره، ص ١٧.

(٢٣) ينظر: جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية عصر محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص١٧.

(٢٤) ينظر: لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل- الخلفية التاريخية- الفكر السياسي والاجتماعي، مصدر سبق ذكره ، ص٩ ص١٠، كذلك ينظر: هنري لورنس، الحملة الفرنسية في مصر- بونابرت والإسلام، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، مصر، ١٩٩٥، ص ص10.8 .

(٢٥) ينظر: لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٥٥ .٢٥٦.

(٢٦) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز، مصدر سبق ذكره، ص١١٦.

(٢٧) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت/ لبنان، ١٩٦٧، ص٩١.

(٢٨) عمر ابو جليدة، العرب ومسألة التنوير- كيف الخروج من تمجيد الطاعة؟ ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٦، ص٤٨.

(٢٩) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

(٣٠) نقلا عن: محمد عطوان، صور الآخر في الفكر السياسي العربي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص١٦٢.

(٣١) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

(٣٢) عمر ابو جليدة، العرب ومسألة التنوير، مصدر سبق ذكره، ص٤٨.

(٣٣) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق ذكره، ص١١٣.

(٣٤) عزت قُرني، العدالة والحُرية في فجر النهضة العربية الحديثة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠، ص ص٣١-٣٢.

(٣٥) مقدمة: عبده إبراهيم علي، لكتاب رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، دار الكتاب المصري- القاهرة/ دار الكتاب اللبناني- بيروت، ٢٠١٢، ص ص٣٨- ٣٩.

(٣٦) عبد الله العروي، مفهوُم الحُرية، المركز الثقافي العرب، ط٥، بيروت / الدار البيضاء، ١٩٩٣، ص ص٤٩-٥٠.

(٣٧) محمد عطوان، صور الآخر في الفكر السياسي العربي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص١٥٨.

(٣٨) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مصدر سبق ذكره، ص٩٤.

(٣٩) هُشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٥٧.

(٤٠) سعيد مُراد، بحوث في الفلسفة والتنوير، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٥، ص٧١.

(٤١) حسين سعد، الاصالة والتغريب في الاتجاهات العَلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص١٥٩.

(٤٢) نازك سابايارد، الرحّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، نوفل، ط٢، بيروت/لبنان، ١٩٩٢، ص٨٢.

(٤٣) محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦، ص٣٩.

(٤٤) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

(٤٥) حسين فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي - رائد فكر وإمام نهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٨٧، ص٩٢.

(٤٦) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق ذكره، ص١٦.

(٤٧) عمر ابو جليدة، العرب ومسألة التنوير، مصدر سبق ذكره، ص ص ٥٨-٥٩.

(٤٨) مقدمة: عبده إبراهيم علي، لكتاب رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

(٤٩) رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٩.

(٥٠) نازك سابايارد، الرحّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مصدر سبق ذكره، ص٧٢.

(٥١) مقدمة: منى أحمد ابو زيد، لكتاب رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٨.

(٥٢) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، دار الشروق، ط٣، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧، ص٢٣٩.

(٥٣) عمر ابو جليدة، العرب ومسألة التنوير، مصدر سبق ذكره، ص٤٩.

(٥٤) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٣.

(٥٥) المصدر نفسه، ص٢٥٤.

(٥٦) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مصدر سبق ذكره، ص٩٧.

(٥٧) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٥٩) ينظر: مقدمة لمترجم: كتاب جان جاك روسو، العقد الاجتماعي- أو مبادى الحقوق السياسية، مؤسسة الابحاث العربية، ط٢، بيروت/لبنان، ١٩٩٥، ص ٢٠-ص ٢١.

(٦٠) رئيف خوري، الفكر العربي الحديث- أثر الثورة الفرنسية في توجهه السياسي والاجتماعي، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠، ص٥٢.

(٦١) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٠.

(٦٢) نازك سابايارد، الرحّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مصدر سبق ذكره، ص ص٥٩- ٦٠.

(٦٣) جلال سلمي، رؤية التيار الليبرالي المصري للأحكام الدينية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، سوريا، ٢٠١٩، ص٧.

(٦٤) ينظر: رفاعة الطهطاوي، مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٧.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٤٥٧.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ص٤٤٦- ٤٤٧.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٤٦٠.

(٦٨) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٦.

(٦٩) مقدمة عبده ابراهيم علي لكتاب رفاعة الطهطاوي، مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٩-٣٠. كذلك ينظر: لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٤٥- ٢٤٦.

(٧٠) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٤.

(٧١) المصدر نفسه، ص ص٢٤٣-٢٤٤.

(٧٢) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق ذكره، ص١٨٠.

(٧٣) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٤.

(٧٤) نازك سابايارد، الرحّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

(٧٥) مقدمة منى أ حمد ابو زيد لكتاب: رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، دار الكتاب المصري- القاهرة/ دار الكتاب اللبناني- بيروت، ٢٠١٢، ص ص٦٤-٦٥.

(٧٦) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٧.

(٧٧) عزت قُرني، العدالة والحُرية في فجر النهضة العربية الحديثة، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

(٧٨) ينظر: مقدمة منى أحمد ابو زيد، لكتاب رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

(٧٩) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٣٧٣.

(٨٠) المصدر نفسه، ص٣٧٣.

(٨١) المصدر نفسه، ص٣٦٤.

(٨٢) رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٩.

(٨٣) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٢٥١.

(٨٤) مقدمة منى ابو أحمد زيد، رفاعة رافع الطهطاوي، المرشد الامين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٨٢ -٨٣.

(٨٥) رفاعة رافع الطهطاوي، تحرير المرأة المسلمة- كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تنقيح وتقديم وتعليق: يحيى الشيخ، دار البراق- بيروت- لبنان، ٢٠٠٠، ص ص٢٠- ٢١.

(٨٦) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٤.

(٨٧) جلال سلمي، رؤية التيار الليبرالي المصري للأحكام الدينية، مصدر سبق ذكره، ص٧.

(٨٨) محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ١٩٩٣، ص١٧٣.

(٨٩) قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٨.

(٩٠) رفاعة رافع الطهطاوي، تحرير المرأة المسلمة- كتاب المرشد الأمين، مصدر سبق ذكره ص ص٢٥-٢٦.

(٩١) حسين سعد، الاصالة والتغريب في الاتجاهات العَلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٩- ٤٠.

(٩٢) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ص٣٣٥- ٣٣٦.

(٩٣) المصدر نفسه، ص٣٣٥.

(٩٤) مقدمة منى أحمد ابو زيد لكتاب: رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين، مصدر سبق ذكره، ص٤٣.

(٩٥) أحمد أحمد بدوي، رفاعة الطهطاوي بك، مصدر سبق ذكره، ص٣١١- ص ٣١٢.

(٩٦) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٨، ص٣٣٩.

(٩٧) أمل بنت ناصر الخريف، مفهوم النسوية- دراسة نقدية في ضوء الإسلام -، مركز باحثات لدراسات المرأة، الرياض، ٢٠١٦، ص٨١.

(٩٨) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٩.

(٩٩) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٢. مزيد من التفاصيل ينظر: رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق ذكرة، ص٢٩٩.

(١٠٠) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مصدر سبق ذكره، ص٨٨.

(١٠١) المصدر نفسه، ص٨٩.

(١٠٢) رفاعة رافع الطهطاوي، تحرير المرأة المسلمة- كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

(١٠٣) محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير، مصدر سبق ذكره، ص ص354 -٣٥٥. كذلك سورة النساء (٣). كذلك مزيد من التفاصيل عن الحديث النبوي الشريف ينظر: ابو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩- ٢٧٩هـ)الجامع الصحيح(سنن الترمذي)،ج١، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، الطبع والنشر، شركة مكتبة، ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٩٨٧، رقم الحيث(١١٤٢)، ص ٤٣٨.

(١٠٤) . (الزم كاتب هذه الاحرف، رفاعة بدوي رافع، لبنت خاله المصونة.. أنه يبقى معها وحدها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى ولا جارية أياً كانت، فأن تزوج بزوجة أياً ما كانت... كانت بنت خاله بمجرد العقد طالقة بالثلاثة، وكذلك إذا تمتع بجارية ملك يمين.. فلا يتزوج بغيرها أصلاً، ولا يتمتع بجوار أصلاً، ولا يخرجها من عصمته حتى يقضي الله لأحدهما بقضائه). لمزيد من التفاصيل ينظر: رفاعة الطهطاوي، الاعمال الكاملة، ج١ تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠، ص111.

(١٠٥) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مصدر سبق ذكره، ص١٠٢.

(١٠٦) نازك سابايارد، الرحّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧.

(١٠٧) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مصدر سبق ذكره، ص١٠٢.

(١٠٨) ان نسوية التيار الليبرالي ترى أن المجتمع يتجه نحو الاعتقاد بأن قدرة النساء العقلية والجسدية – بحكم طبيعتهن- أقل من قدرة الرجال، ومن ثم فقد تم عزلهن عن الاجواء الاكاديمية والاقتصادية في الحياة العامة، أدى ذلك إلى عدم تكامل القدرات الحقيقية لدى كثير من النساء، ولذا فانه إذا قدمت للنساء وللرجال فرص واحدة في التعليم والحقوق المدنية، فسيتقدم النساء والرجال بالمقدار ذاته. أمل بنت ناصر الخريف، مفهوم النسوية- دراسة نقدية في ضوء الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(١٠٩) رفاعة رافع الطهطاوي، تحرير المرأة المسلمة- كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠٥.

المصادروالمراجع

أولاً: القرآن الكريم

١ – سورة النساء، الآية (٣).

ثانياً: الموسوعات والمعاجم

١ - ابو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩- ٢٧٩هـ)الجامع الصحيح(سنن الترمذي)،ج١، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، الطبع والنشر شركة مكتبة، ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٩٨٧، رقم الحيث(١١٤٢).

ثالثاً: الكتب العربية والمترجمة

١ - أحمد أحمد بدوي، رفاعة الطهطاوي بك، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1952 .

٢ - ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩ ، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت/ لبنان، 1967 .

٣ - أمل بنت ناصر الخريف، مفهوم النسوية (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، مركز باحثات لدراسات المرأة، الرياض، ٢٠١٦.

٤ - جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

٥ - جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، مؤسسة هنداوي، مصر، ١٩٤٥.

٦ - جمال بدوي، محمد علي وأولاده، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥٢.

٧ - جان جاك روسو، العقد الاجتماعي - أو مبادى الحقوق السياسية، مؤسسة الابحاث العربية، ط٢، ١٩٩٥.

٨ - جلال سلمي، رؤية التيار الليبرالي المصري للأحكام الدينية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، سوريا، ٢٠١٩.

٩ - جهاد تقي صادق، الفكر السياسي العربي الإسلامي (دراسة في أبرز الاتجاهات الفكرية)، بغداد، ١٩٩٣.

١٠ - حسين فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي (رائد فكر وإمام نهضة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٧. .

١١ - حسين سعد، الاصالة والتغريب في الاتجاهات العَلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.

١٢ - رفاعة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة- التمدن والحضارة والعمران، ج١، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.

١٣ - ----------، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢.

١٤ – ----------، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، دار الكتاب المصري- القاهرة/ دار الكتاب اللبناني- بيروت، ٢٠١٢.

١٥ - ----------، تحرير المرأة المسلمة- كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تنقيح وتقديم وتعليق: يحيى الشيخ، دار البراق/ بيروت- لبنان، ٢٠٠٠.

١٦.....، المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١٢.

١٧ - رئيف خوري، الفكر العربي الحديث - أثر الثور الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠.

١٨ - سعيد مُراد، بحوث في الفلسفة والتنوير، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٩٩٥.

١٩ - سليمان بن صالح الخراشي، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، بلا مكان طبع، ١٤٢٩.

٢٠ - صالح مجدي، حُلية الزمن بمناقب خادم الوطن (سيرة رفاعة رافع الطهطاوي)، تحقيق: جمال الشيال، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٥٨.

٢١ - طلعت فهمي خفاجي، الاستشراق والمستشرقين، دار ومكتبة الاسراء لطباعة الكتب الجامعية والعلمية، مصر/ طنطا،.٢٠١٣.

٢٢ - عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، دار المعارف، ط٥، القاهرة، ١٩٨٩.

٢٣ - عمر ابو جليدة، العرب ومسألة التنوير- كيف الخروج من تمجيد الطاعة؟ ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٦.

٢٤ - عزت قُرني، العدالة والحُرية في فجر النهضة العربية الحديثة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠.

٢٥ - عبد الله العروي، مفهوُم الحُرية، المركز الثقافي العربي، ط٥، بيروت/ الدار البيضاء، ١٩٩٣.

٢٦ – قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

٢٧ - لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل- الخلفية التاريخية- الفكر السياسي والاجتماعي،ج١، ج٢، مكتبة مدبولي، ط٤، مصر، ١٩٨٧.

٢٨- محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦.

٢٩ - محمد عبد الغني حسن، حسن العطار، دار المعارف، ط٢، جمهورية مصر العربية، سنة بلا.

٣٠ - محمد عطوان، صور الآخر في الفكر السياسي العربي المعاصر (الاستشراق - العَلمانية - الأيديولوجيا - الاستعمار)، الرافدين، بيروت، ٢٠١٧.

٣١ - محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، دار الشروق، ط٣، القاهرة/ مصر، ٢٠٠٧.

٣٢ - محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ١٩٩٣.

٣٣ - نازك سابايارد، الرحَّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، نوفل، ط٢، بيروت / لبنان، ١٩٩٢.

٣٤ - هنري لورنس، الحملة الفرنسية في مصر- بونابرت والإسلام، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، مصر،١٩٩٥.

٣٥ - هُشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت،١٩٨١.

رابعاً: الدوريات

١ - أحمد محمد نوري أحمد العالم، الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا(١٨٠٥-١٨٤٨م)، مجلة أداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد،(٧٣)، ٢٠١٨.